
مشروع القرن الثقافى
روايات مصرية للجيب
فى كل رواية متعة دائمة
د. أحمد خالد توفيق
48
سافارى
BA
Looloo
www.dvd4arab.com
إنهم يكذبون

مقـــدمة

اســمى (علاء عبد العظيم) .. طبيب مصرى شــاب يجاهد ــ كما يقول الغلاف ــ كى يبقى حيًا ويبقى طبيبًا ..

وحــدة (سافارى) هى البطــل الحقيقى لهــذه القصص ، و(ســافارى) مصطلح غربى معناه (صيد الوحوش فى أدغال أفريقيا) وهو محرف عن لفظة (سفرية) العربية ..

لاحظت أن أكثر الأصدقاء يضيفون حرف ألف بين الــراء والياء لتتحول الكلمة إلى (سافاراى) .. لا أعرف فى الحقيقــة سبب هــذا الخطــأ ، لكنــه خطأ شــائع شــبيه بتلك الألف الشيطانية التى يكتبها الجميع بعد (واو) ليست (واو جماعة) على غرار (أرجوا الهدوء) . ولو كنت ترغب فى معرفة النطق الغربى للفظة (سافارى) فلتتخيل أنها (صفرى) بفتح الصاد والفــاء ..

وحــدة (سافارى) التى نتكلم عنها هنا لا تصطاد الوحوش ولكنها تصطاد المرض فــى القارة السوداء ، وســط اضطرابات سياسية لا تنتهى وأهالٍ متشككين وبيئة لا ترحم ..

الوحدة دوليــة لكن بطلكم الفقيــر المعترف بالعجز والتقصير شاب مصرى عــادى جدًّا ، فقط وجد كثيرًا من عوامل الطرد فى وطنه فانطلق يبحث عن فرصة فى القارة السوداء .. انطلق يبحث عن ذاته ..

هناك وجد التقدير .. وجد المغامرة .. وجد الحب .. الطبيبة الكندية الرقيقة (برنادت جونز) التى صارت زوجته .. ثم هناك الفيروسات القاتلة والقبائل المعادية والمرتزقة الذين لا يمزحون ، والعلماء المخابيل وسارقو الأعضاء ..

هناك ــ كما قلنا ــ من العســير أن تجمع بين شيئين : أن تظل حيًّا وتظل طبيبًا .. لكنك تحاول .. فى كل يوم تحاول ..

هذه المحاولات هى ما أجمعــه وأقصــه لكم فى شكل قصص .. وقصصى هى خليــط عجيــب من الطــب والميتافيزيقا والرعب والعواطف والسياسة ! لا أعرف إن كان هناك مجنون آخر قد

جرب أن يصب هذا الخليط فى كئوس ويقدمها لكم ، لكنى لم ألق هذا المجنون بعد إلا فى مرآتى ..

تعالوا نبدأ وسنفهم كل شىء ..

★ ★ ★

1 ـ ما قبل المهرجان ..

هذه أيام غير مسبوقة هنا فى (أداماوا) . أنت تعرف أننا لا نرى هذه الأشياء فى (أنجاوانديرى) ، فالحياة رتيبة مملة .. لو كنت قد نسيت فأنا أذكرك أن (أنجاوانديرى) هى عاصمة إقليم (أداماوا) .

فجأة يتبدل هذا كله ، ويصير الكل متحمسين يفركون أيديهم فى شغف وترقب .

لا أقصد أننا ـ معشر الأجانب ـ كنا متحمسين ، لكن الوطنيين كانوا كذلك .. وبدا أن وتيرة الحياة الثابتة فى وحدة سافارى قد بدأت تتغير ..

كان هذا هو مهرجان فنون الفولانى .. وقد تحدد لإقامته أسبوعان من الآن ..

لم أحدثك كثيرًا عن الفولانى إلا فى حكايات معدودة ، وإنما حكيت لك غالبًا عن قبائل الكيكويو .. الفولانى هم قبائل رعوية تحتل مساحة هائلة من غرب أفريقيا .. لهم عادات وثقافات ، لهذا أقيم هذا المهرجان وبالطبع هناك تواجد كبير لليونسكو ..

سوف يتضمن المهرجان عروضًا بالخيول .. رقصات شعبية .. معارض للطعام الفولانى .. عروض أزياء .. أمسيات أدبيـة ... بل إنهم يتحدثون عن مسابقة ملكة جمال كذلك ...

للفولانى أسماء أخرى كثيرة .. لعلك سمعت لفظة (الهوسا) أو (الوولوف) .. هل تذكر العبيد المقيدين فى قبو السفينة فى مسلسل جذور ، وهم ينادون بعضهم : « من منكم وولوف ومن منكم ماندنكا ؟ » . هناك كذلك مصطلح (الفلاتا) المعروف فى الأقطار العربية والذى يبدو أنه مقصور على الفولانى الذين هاجروا للسودان .. ويقال إنهم أحفـاد عقبـة بن نافع .. هذا موضوع معقد على كل حال وليس مجاله هنا. لكن الفولانى هم أول قبائل اعتنقت الإسلام فى غرب أفريقيا .

الفولانى مجموعـة كبيـرة جـدًّا ، والمساحة التى يغطونها فى أفريقيـا تعـادل مسـاحة الولايات المتحـدة الأمريكيـة . لدرجـة أن بعضهم موجـود فى مصر .. لكنهـم فى النهـاية يشكلون أقلية فى كل بلد يوجدون فيه. فكر فى الصينيين المتناثرين فى العالم .. كل مكان فيه صينيون لكنهم دائمًا أقلية حيث وجدوا .

مـــن الفـــولانى جـــاء أول رئيس جمهـــورية للكاميـــرون ، وهو (أحمـــدو أهيدجـــو) .. ومنهم جـــاء (عيسى حياتو) الذى تعرفه أنت جيدًا لو كنت كرويًا .. إنه رئيس اتحاد الكرة الأفريقية ..

لا أحب عادات الفولانى ولا أعرفها ، لكنى أؤمن بأنه لابد من جهة دولية تحافظ على هذا التراث الثقافى وتسجله. هناك قبائل كاملة انقرضت فلم نعـــد نعرف كيـــف كانت .. لو كانت عدسة (ناشونال جيوجرافيكس) موجودة أيام أعياد باخوس ، أو أيام المحمل الذاهب للكعبة أول مرة ، أو فى احتفالات المايا الدينية ، أو مع دهشة القاهرة لرؤية طيران المنطاد الذى صممه علماء الحملة الفرنسية .. لقد فقدنا كنوزًا للأبد وعلينا أن نحتفظ بما بقى فى أيدينا ..

* * *

كنت أعرف أن الأيام القادمة تحمل لنا الكثير من العمل فى سافارى .. المسئوليات كثيرة على وزارة الصحة الكاميرونية ولابد أن يصيبنا رذاذ من هذا العمل الكثير ..

كانت الحياة تمضى هادئة باسمة ..



لا شىء يحدث. العمل فى العيـادات .. الحشـود التى تنتظر دورها .. الجولات الميدانية .. التطعيم .. حملات حصر الملاريا والكالا آزار ...

فقط عندما تنتهى ساعات العمل أفر إلى بيتنا الصغير ، حيث (سارة) الصغيرة الحسناء تنتظرنى .. عندها أتحول إلى أبله .. أطلق صيحات القردة وأرسم تعبيرات مضحكة بوجهى . هناك فى الضوء الخافت فوق فراشها ، وقد نشرت فوقها قطعة من (التول) لتلعب دور الناموسية ... تنظر للسقف وتقرقر وتلاعب الهواء بقدميها ويديها ...

عندما ترتمى جوارها تشعر بأن كل همومك قد غسلت .. تشعر بأنك طفل رضيع مثلها ..

كثيرًا ما يغيب المرء عن الوجود وهو بجوارها .. أصحو بعد دقائق لأشعر بأنامل (برنادت) تعتصر شعرى لأصحو ..

كل شىء يخص (سارة) رائع ساحر رطيب .. لكن لدى هاجسًا مزمنًا أن أكون قد حملت لها وباء مرعبًا من تلك الأوبئة التى أتعامل معها طيلة اليوم .

ثم أقول لنفسى إن الستّار موجود .. سوف تكبر وتتحمل كل هذه البكتريا والفيروسات والفطريات والريكتسيا ووحيدات الخلية وتكتسب مناعة ممتازة ..

كنت مغمض العينين جوار (سارة) وأنا أحلم بأننى فى عالم مخملى ناعم بعيد ، عندما همست (برنادت) وهى تمرر أناملها فى شعرى :

ـ « هل أبلغوك بموضوع الانتداب ؟ »

ـ « انتداب ؟ »

سكبت دلوًا من الماء المثلج فوق استرخائى ..

ونهضت مذعورًا .. كلمة انتداب تسبب لى حساسية فائقة. جو السيارات اللاندروفر والقبائل ووحوش الغاب والساحرات الشريرات .. و ... و ...

لا أريد .. أنا أتقدم فى العمر وقد صرت أحب الدعة والهدوء .. لم أعد أتحمل القبائل الراغبة فى قطع رأسى ...

قالت وقد فهمت مدى ذعرى :



ــ « ليس انتدابًا بالمعنى الحرفى .. لنقـل إنها قوافل طبية للقرى القريبة .. عمل روتينى بحت قبل المهرجان. لويس الرابع عشر قد وافق على ذلك ، وهو يأمل أن ينال حظوة لدى وزارة الصحة الكاميرونية بهذا التعاون .. »

لويس الرابـع عشر هـو بارتلييه طبعًا .. ومعـه الفوهرر (باركر) .. قلت فى غيظ :

ــ « وطبعًا أنا وأنت العاملان المشتركان فى كل هذه الحملات »

ــ « هذه المرة أنت فقط .. يريدوننى هنا .. »

نظرت لسـارة النائمة ، وعرفـت أننـا وقعنـا فى الفـخ .. لن أستطيع التملص .. سوف أركب الهليوكوبتر أو اللاندروفر وتتحطم عظامى طيلة الطـريق ، ثم آكـل الكاسافا وأنـام فى أكواخ قذرة .. هنـاك وجبـة لعينة أحاول الفرار منها منذ جئت إلى الكاميـرون ، اسـمها (الندوليه) .. جمبرى مع عجينـة فـول سودانى مع جلـد خنزير !! لا أريـد أن يقدموها لى وأنا لا أعرف ما هى ... آكـل طبعًا ثم يقـولون لى إن هـذا هو (الندوليه) .

لا بأس .. سأحاول أن أكون سعيدًا .. طريقة النجاح فى الحياة هى أن يغمروك فى بركة من القطران فتقتنع نفسك أنك كنت فى حاجة لذلك فعلاً ...

لم أواصل هذه الأفكار على كل حال لأن رأسى تهاوى من فرط التعب ..

★ ★ ★

نسيت أن أقول أن هناك عاملاً مشتركًا آخر فى الحملات.. (بودرجا) المترجم المعتمد للوحدة .. لا يحمل أى شهادة ترجمة ، لكنه نال هذه الوظيفة بسياسة الأمر الواقع .. يجيد الفرنسية نوعًا ما ، لكنه يجيد معظم لغات القبائل .. وبالطبع لغة (الفولفود) التى يتكلمها الفولانى .

هكذا وجدت نفسى فى سيارة سافارى اللاندروفر التى تحمل شعار الرأس الأفريقى المميز ، ومعى (بودرجا) وطبيبان آخران وممرضتان .. وبالطبع ابتلعت كمية هائلة من التراب ولم تعد عظمة سليمة فى جسدى .. هناك سيارة أخرى تتبعنا تحمل بعض الأدوية ..

بعد ثلاث ساعات وصلنا لأولى القرى التى سيتم مسحها وهى قرية تدعى (هاكيلى) أغلب من بها فولانى ... معنى الاسم (العقل) .. ولا شك أن له جذورًا عربية ..

كانت أكواخ هؤلاء القوم تشبه قبة المسجد .. يطلقون عليها اسم (بوكارو) . ويغطونها بالحصر وبقماش أحمر مميز .. هذه أكواخ سهلة جـدًا فى فكها وإقامتها ، مما يناسب جـدًا المجتمعات البدائية ، وكانوا ينتظروننا ورحبوا بنا ..

ملامح هؤلاء القوم جميلة دقيقة .. بشرتهم فاتحة اللون. إن علم الأنثروبولوجى شديد التعقيد فعلاً .. لابد من دراسات مدققة لمعرفة من أين جاء هؤلاء ..

يدهن الرجال وجوههم بمادة صبغية تشبه الحبر ولهذا تجد شفاههم سوداء .. وهم يلفون رءوسهم بما يشبه الحجاب ، لهذا يذكرونك أحيانًا بقبائل الطوارق أو التبو .. على الوجه تلك الندوب الطولية التى تم صنعها بالسكين وهم أطفال .. هذه علامة قبلية مهمة ولا يستغنون عنها أبدًا . ومعظمهم يحملون العصى .. يريحون العصا على كتفيهم كما يفعل السَّقَّاء عندنا فى مصر .

النساء يخضبن أكفهن بكثير من الحنة ويضفرن القواقع فى شعورهن .. الحقيقة أنهن جميلات فعلاً .

بدأنا العمل .. فحص من يطلب العون .. تضميد الجروح ... بعض الجراحات الصغرى .. يوم روتينى عادى جدًا .

يقدمون لك هنا الكثير من اللبن .. اللبن طيلة الوقت ، ويطلقون عليه (كوسام) . وهناك نوع من الزبد مشتق منه اسمه (كيتوجول) . حاولت ألا أشرب لأننى أعرف أنه بالتأكيد لبن لم يتم غليه ، فهو مزرعة ممتازة للدرن والبروسيلا .. لكن بالطبع لا يمكنك أن تمتنع متى راق لك هذا .. سوف يعتبرونها إهانة .. لهذا تشرب وأنت ترتجف ذعرًا مما سوف يحدث . على الأقل ليس هذا (ندوليه) .. الرحالة الذين زاروا قبائل الماركيز اضطروا لشرب المادة المسكرة التى يشربها هؤلاء ، وهى عبارة عن جذور تمضغها العجائز ثم يبصقنها ويضفن لها الماء !.... إننى أرتجف من الفكرة وأحمد الله أن الأمر لا يتجاوز اللبن غير المغلى هنا .

الناس هنا مهذبون أقرب للرقى .. هناك منظومة أخلاق يطلقون عليها (بولاكو) تتكون من الصبر والشجاعة والكبرياء ..

(البولاكو) هى الشىء الذى يميز الفولانى ويفخرون به .. من يخالف هذه المنظومة يدعى (سيمتى) ومعناها أنه جلب العار على نفسه ..

اقترب الغروب فجاء أحد الرعاة يطلب منا أن نرى زوجته ..

من الواضح من منظره ومن لهفته ومن عدم قدرة المرأة على المجىء لنا أن الأمور سيئة جدًا . هكذا نهضت أنا و(بودرجا) ومعنا ممرضة أفريقية وحملت حقيبتى .. ورحنا نَجِدّ السير وراء الرجل طويل الساقين واسع الخطى.

هناك كان ذلك الكوخ .. بسيط قذر ، وعندما وقفنا على الباب فر فأران مذعورين ..

خطونا إلى الداخل فى حذر فقد صارت الرؤية صعبة فعلاً ، وبدا كأن الرائحة الكريهة تمنع الرؤية ، فوجدنا حصيرة على الأرض . هناك امرأة راقدة وحولها بقعة دم كبيرة ..

2 ـ حالة غامضة ..

كانت المرأة تموت ..

لا شك فى هذا .. لا يجب أن تكون طبيبًا كى تدرك ذلك ..

ركعت جوارها وتفحصت نبضها .. سريع واهن .. هذا متوقع مع هذا النزف .

قال (بودرجا) بعد محاورة مع الزوج :

ـ « منذ أسبوعين .. هذه هى الصورة منذ أسبوعين .. كانت تشكو من ألم فى الرأس وسعال وحمى .. »

نظرت لعينيها الحمراوين كجمرتى نار .. لا يمكن تبين الصفراء فى هذه الإضاءة اللعينة . أخرجت خافض اللسان والكشاف وفتحت شفتى المرأة المتقرحتين النازفتين .. اللثة تنزف بشكل غير عادى . إنها تتنفض بقوة ولا أعرف السبب ..

رأيت قروحًا عديدة على سقف الفم مع غشاء قذر ..

ماذا يحدث هنا ؟...



الكدمات تملأ الذراعين .. هذه صورة تذكرنى بالفشل الكبدى المتقدم. لكن .. لا .. الوضع أعنف من هذا ..

العنق متصلب .. هناك غالبًا درجة من التهاب السحايا ... هذا يعنى أننى قد أستنشق الموت فى هذه اللحظة بالذات .

هناك رائحة كريهة تصدر من أنفاسها .. قرأت عن التيفوس وأن المرضى تنبعث منهم رائحة فئران مميزة ، لكن بالطبع لم أر حالة تيفـوس فى حيـاتى .. ثم إن التشخيص بالشم علم منقرض منذ أيام (ليبمان) و(أوسلر) وسواهما ..

لا أعتقد أنه التيفوس ..

كنت أفكر هنالك فى الكوخ المظلم وقد أحاط بى نحو خمسة من الفولانى الملثمين عيونهم تشع نارًا ، حتى إننى كدت أختنق ..

لحظة بلحظة كنت أدرك أنه من المستحيل أن أصل لجواب بنفسى .. القصة أكبر منى .. لابد من مختبر يجرى الفحوص اللازمة ويدرس تجلط الـدم .. يعـد الصفائح .. يبحـث عن الفيروسات ..

الصورة كلها مريبة ومقلقة ..

تناولت الهاتف المحمول .. الشبكة هنا فى منتهى السوء .. أنت تعـرف القـاعدة التى لا تفشـل : متى أردت المحمول جدًا فهو قطعة من البلاستيك بلا نفع . عندما يتهامس الولد طالب الثانوى مع فتاته عـن آخـر أغنيـة سمعتْها للمطرب العاطفى (مرسى حصيرة) ـ لابد أن هنـاك مطربًا بهـذا الاسم ـ فالمحمول يعمل بكفاءة منقطعة النظير ...

لكن الخط بدأ يعمـل .. أسـمع تشوشًا لاسلكيًا لكـن هناك جرسًا ..

من طلبته ؟.. طبعًا (آرثر شيلبى) .. من سواه ؟ الأستاذ الأمريكى الوسيم المتبختر .. كلما قرأت لفظة Flamboyant الأمريكية لم أر فى ذهنى سوى (شيلبى) ..

لابد أنه الآن فى بيته الفاخر ضمن وحدة سافارى ، يجلس أمام الكمبيوتر يشاهد فيلمًا ويشرب الويسكى ... حان الوقت كى ينهمك فى بعض العمل ..

بعد قليل جاء صوته من بعيييد :

ـ « هالو .. »



كنت راكعًا على ركبتى فى ظلام الكوخ جوار المريضة ، ومن حولى الفولانى يترقبون . أخبرته إننى عـلاء وإننى أتكلم من إحدى قرى الفولانى ..

ـ « هناك مريضة فى حالة سيئة .. »

قال بطريقته الأمريكية المازحة :

ـ « من منهن ليست كذلك ؟ »

ـ « بل هى فى حالة سيئة جدًا ... أعتقد والله أعلم أنها حمى نزفية .. »

توقف قليلاً... لا أراه لكنى شعرت بعنقه يتوتر وشعر رأسه الأشيب ينتصب ، ولابد أنه رفع الكأس وراح يفكر قبل أن يرشف رشفة .. ثم قال :

ـ « بحق السماء .. هذا كلام خطير .. »

ـ « لا أرى احتمالاً آخر .. »

قال فى ضيق :

ـ « علاء .. أنت تعرف عشرات الأمراض التى تجعل المريض ينزف من كل الفتحات .. أنت تعرف الفشل الكبدى والتجلط المنتشر داخل الأوعية .. تعرف التيفوس .. تعرف مرض (فايل Weil) .. تعرف الحمى الصفراء .. أنت تثب لاستنتاجات غريبة بسرعة البرق .. »

تصاعد الدم لرأسى من الغيظ :

ـ « سيدى .. هل هذه الاحتمالات التى تقولها مطمئنة ؟.. حمى صفراء وتيفوس ؟.. لابد أننى سأدخل القبر خلال أسبوع .. ما أريده هو نقل هذه الحالة إلى مركز متخصص أو إلى وحدة سافارى .. »

ـ « سوف ندرس الأمر .. »

ـ « بينى وبينك سيدى .. أريد الإبلاغ عن حالة إيبولا .. أنت تعرف معنى هذا .. »

انفجرت سماعة المحمول بعبارات الدهشة والسباب مع الكثير من (جاش) و(أوه ماى) .. ثم قال ضاغطًا على كلامه :

ــ « هذا كلام خطير ولا يلقى جزافًا .. على كل حال ليس الصبر من طباع الإيبولا .. كنت ستجد هذه المرأة ميتة منذ عشرة أيام .. وكنت ستخطو فوق مئات الجثث كى تصل للكوخ .. »

ــ « إذن ؟ »

ــ « هل وجدت شيئًا مريبًا ؟؟ هل من قراض أو بعوض ؟ »

نظرت لفأر يهبط فوق إحدى دعامات السقف ، وقلت :

ــ « الكثير من الفئران .. هل تفكر فى الطاعون ؟ »

ــ « هذه ليست صورة طاعون .. كنت ستجد الفئران ميتة وكنت ستجد مصابين كثيرين أو موتى .. »

ثم رشف رشفة من الكأس .. سمعت الصوت بوضوح .. ثم قال :

ــ « نحن على الأرجح نتكلم عن حمى نزفية .. لكن ليست إيبولا ولا ماربيرج ..أقترح أن .... »

ثم تشوش الخط تمامًا فأطلقت سبة ووضعت الجهاز فى جيبى ..

قلت لبودرجا :

ـ « قل لهذا الراعى إننا سوف ننقل زوجته لوحدة سافارى حالاً .. من المحتمل أن هذا وباء مريع .. »

بصق (بودرجا) ومسح البصقة على الغبار بصندله وقال :

ـ « تفو ... سوف نموت يا دكتور .. لقد أصبنا بالعدوى .. »

قالها بلا مبالاة كأنه يؤدى واجبًا أو كأنه يتكلم عن شخص آخر سوانا .. لقد علمت السنون (بودرجا) أنه لا شىء يهم .. يمرض .. يصحو .. يموت .. كل الأشياء تتساوى فى النهاية . لا يوجد ما يستحق الضجيج .

ترجم الكلام للراعى الذى أخذ يراقبنا بعينين جاحظتين ، وازداد وجهه تصلبًا وخشونة .. ثم قال ببساطة :

ـ « لا .. لن أسمح بهـذا .. امرأتى لن تغـادر البيت .. سنعالجها هنا .. »

طبعاً لم أفهم ما قال ، لكن تعبيرات الوجه لغة دولية فعلاً .. لقد وصلتنى العبارة مترجمة واضحة قبل أن يترجمها بودرجا ،

وقد حاول (بودرجا) أن يقنعه بلا جدوى .. هكذا عرفت أننا سنرحل من دونها ، لكـن الأمر ليس بهـذه البساطة .. لابـد من عـودة فـريق طبى لفحصـها . ربما يرغمـون الراعى على نقلهـا للمستشفى كذلك .. لكن فى الوقت الحالى لا أستطيع أن أفعل شيئاً فأنا لا أملك سلطة تنفيذية ..

هكذا قمت بتعليق محلول وريدى من الدكستروز للمرأة ، ووضعت فيه بعض الفيتامين (ك) والعقاقير التى تساعد على التجلط .. وقد قضيت وقتاً لعيناً فى محاولة البحث عن وريد لها فى الضوء الخافت وعلى ضوء كشاف .. كل وريد ينفجر عندما تلمسه الإبرة كأننا نتعامل مع بالونات أطفال .. لا أتوقع أن تكون حية فى الصباح لكن ماذا بوسعى أن أفعل ؟

كان الليل قد غمر القرية بعباءته ، عندما غادرنا الكوخ ..

وكانت سيارة سافارى تنتظر كأنها سفينة فضاء سوف تخرجنا من هذا الكابوس ...

مشينا نحوها فى شغف .. واتخذت مقعدى جوار النافذة وأرحت خدى للزجاج البارد ..

ثلاث ساعات فى العودة ثم ثلاث ساعات أخرى لقرية ثانية غدًا ... سوف يقتلنى إرهاق هذه الفترة ..

راحت السيارة تترجرج وتهتز ..

هنا حدث شىء غريب .. لا أعرف هل الفكرة هى التى جعلتنى أتذكر إيقاع الأغنية أم إننى تذكرت الأغنية على سبيل الإلهام وجاء الجواب ؟.. لا أؤمن بالصدف لهذه الدرجة ..

على الأرجح كان اسم المرض فى ذهنى طيلة الوقت ، ثم قام عقلى الباطن بتذكيرى بالأغنية .. على سبيل ألعاب اللاشعور الخبيثة ..

كانت هناك أغنية قديمة للفنانة الشعبية المرحة ليلى نظمى تقول :

أبو لاسة حرير ابن الحتة .. يفوت من تحت الساعة ستة

هلْ تجد بربك سببًا يبرر أن أتذكر هذه الأغنية ليلاً فى سيارة لاندروفر تشق طريقًا وعرًا فى إقليم (أداماوا) ؟.. وبعد سماعى لها بثلاثين عامًا ؟!

لكن الجواب كان فى الأغنية ..

حميات نزفية معدودة توجد فى غرب أفريقيا .. هذه ليست إيبولا ولا ماربورج .. نحن نتكلم عن حمى (لاسا Lassa) ..

أبو لاسة حرير ابن الحتة ..

3 ـ حمى لاسا ..

حمى لاسا النزفية ..

مرض مرعب لكنه لم يوصف فى الكاميرون من قبل على قدر علمى .. إنه موجود فى غرب أفريقيا كله .. بل هو متوطن هناك ويقتل ستة آلاف شخص كل عام . عندما تذكر كلمة (سييراليون) فأنت تتكلم عن حمى لاسا .. بعد هذا تأتى نيجيريا .. حتى اسم (لاسا) نفسه مشتق من اسم بلدة فى نيجيريا حيث وصف المرض أول مرة عام 1969..

المرض يفرز فى بول الفئران .. الفئران تتبول فوق الحبوب والتراب .. يصاب المرء بالفيروس من استنشاق أو التهام هذه الأشياء .. لكن التعامل مع المرضى كذلك يمكن أن ينقل لك العدوى ..

مرض خطير هو .. تذكر أن خمس المرضى يموتون ..

★ ★ ★



أرمق الليل والسواد المتجانس خارج زجاج النافذة ..

الخواطر تتداعى فى ذهنى ..

أبو لاسة حرير ابن الحتة .. يفوت من تحت الساعة ستة ..

عاشق وماشى بيتقمع .. وقلبى ف غرامه مولع ..

تقولها فى دلال ..

تقولها فى شقاوة وغنج ...

لم يبتعد (شيلبى) كثيرًا عن الحقيقة .. لقد خمن القصة وهو هناك فى بيته يحتسى الشراب .. من الواضح أننا دسنا على فتيل ملتهب ..

لو كان ظنى صحيحًا فلسوف تكون الفترة القادمة كابوسًا .. الأسوأ اننى قد ألقى نهايتى قريبًا جدًا .. لا أحب الحميات النزفية وأعتقد أنك متفق معى ، لكنى استنشقت أنفاس تلك المرأة ، وشربت لبن هؤلاء القوم ..

أرمق الليل والسواد المتجانس خارج زجاج النافذة .

أرمق الأحراش البعيدة وأتذكر ..

كان اسمه (أنيرو كونتيه)[1] هل سمعت الاسم ؟.. هل تعرف من هو ؟.. هكذا الأبطال الحقيقيون الذين لا يحمل اسمهم بريق أسماء لاعبى الكرة أو الممثلين ..

طبيب سيراليون العظيم الباسل الذى نذر حياته لدراسة حمى لاسا التى تقتل شعبه .. وحده وبلا إمكانيات ووسط نيران الحرب الأهلية ، حقق نتائج مذهل ، وصار أهم خبير عالمى فى حمى لاسا . أنت تعرف ما قام به (إبراهيم مالك سامبا) الذى سحق مرض عمى الأنهار .. تكلمت عنه من قبل .. الآن نذكر بطلاً عظيمًا آخر هو (أنيرو كونتيه) .. مع فارق مهم هو أنه مات بنفس المرض الذى عاش يكافحه .

كان هنـاك أثنـاء الحـرب الأهلية ، وقـد فر كل الأطباء ، والمبـانى صـارت خرابًا .. بينمـا يمشى المرتزقـة فى كـل مكان يذبحون الناس ، لكنه ظـل هناك فى مستشفى (كينما) .. أنشـأ أول غرفة لعزل مرضى (لاسا) فى العالم ، وظـل يعمل وهو يلاحظ زيادة أعداد الفئران أثناء الحرب ، وبالتالى تفاقم وباء لاسا ..



(1) كعادة سافارى .. كل المعلومات حقيقية ما لم نقل عكس هذا .

ولنفس الأسباب التى كانت تجعل اللصوص يتوقفون عن السطو فى حرب أكتوبر 1973 فى مصر ، لم يهاجم أى من المتقاتلين المستشفى .. هناك حدود معينة لقسوة المرء وفظاعته .. هناك خط قدسى حتى لدى أعتى النفوس ... لم يؤذ أحد الطبيب لأنه بدا لهم قديسًا يحرم أن تؤذيه ..

بعد الحرب سافر لدول كثيرة يحاضر ويعلم العالم كله أسرار هذا الفيروس اللعين .

قابلت هــذا الرجــل العظيم المتواضع مرة واحــدة عندما استضافته وحدة سافارى لمدة أسبوع ليحكى تجربته ، وهى من المرات القليلة التى يغادر فيها سيراليون ..

كانت الحرب قد انتهت .. وقد جاء ليلقى بعض المحاضرات عن حمى لاسا . بالطبع كان فى قبضة (شيلبى) و(بارتليبه) وكل أساتذة الفيروسات فى سافارى تمامًا ، لهذا لم أستطع أن أنفرد به ، وفى الوقت نفسه أنا مجرد ترس صغير فى سافارى فلا يمكن أن يتذكرنى . أنا أهم شخص فى العالم بالنسبة لنفسى فقط .. من الصعب أن ينسانى الناس أو يتجاهلونى لأننى ببساطة أنا . لكنك تتعلم فى كل مرة أن احدًا لا يلاحظك .

لم أعرف أننى لن أراه أبدًا بعد ذلك ..

كان فى سيراليون يسحب الدم من ساعد مريضة بداء لاسا ، فانزلقت الإبرة لتخترق يده ..

بعد أيام أصيب بداء لاسا اللعين ولم يستطع أحد أن ينقذه .. مات بعد 20 يومًا من وخزة الإبرة .. وقد بكته سيراليون كلها ، ولطم المرضى خدودهم لأنه لن يكون هناك (كونتيه) آخر ..

لكن مرض (لاسا) بدأ يندحر فى سيراليون ونيجيريا فعلاً ..

أرمق الليل والسواد المتجانس خارج زجاج النافذة .

أرمق الأحراش البعيدة وأتذكر ..

(أنيرو كونتيه) مات كمحارب .. مات بيد الوباء الذى قضى عمره يكافحه ... هذه ميتة شريفة فعلاً . كانت هناك ميتة أخرى مشابهة فى ذات الوقت تقريبًا .. الطبيب الإيطالى (كارلو أوربانى) الذى اكتشف داء (سارس SARS) ومات به ..

ترى هل أتحمل أنا بدورى ميتة كهذه ؟ لا أعرف .. لا أحب كثيرًا أن أموت وأنا أهذى وأنزف من كل فتحات جسدى ...

مددت يدى وتناولت الهاتف المحمول ..

هناك شبكة .. لكنى عجزت تمامًا عن طلب (شيلبى) ثانية لأخبره بالإلهام الشعرى الـذى وصلت له .. يبـدو أن الويسكى الذى شربه يعطل شبكة المحمول ..

طلبت رقمًا أعرفه .. إننى أعرف شخصًا مهمًا فى وزارة الصحة هنا ... د. (نزو مبيدا) .. أعتقد أنه سيرد على الهاتف حتمًا ..

بعد بضع رنات جاء صوت يسأل باللغة المحلية عمن هنالك فرددت بالفرنسية .. قلت له إننى علاء عبد العظيم من سافارى .. يعرفنى جيدًا ويعرف الاسم ..

قلت له بلهجة جادة :

ــ « أنا عائد من قرية من قرى الفولانى اسمها (هاكيلى) .. أعتقد أن هناك حالة حمى نزفية .. على الأرجح هى حمى (لاسا) .. لا أملك سلطة تنفيذية لكنى أريد أن يرسلوا فريقًا لتلك القرية ليساعدنا فى عمل الغد .. يبدو أن أبواب الجحيم سوف تنفتح .. »

سألنى بصوت قلق :

ــ « وما رأيهم فى وحدة سافارى ؟ »

ــ « الاتصال صعب .. شبكة المحمول لا تعمل فعلاً .. »

بحدة قال :

ــ « هذا اندفاع لا شك فيه .. لا أحد يشخص حمى (لاسا) بهذه البساطة .. لابد من مختبر .. »

ــ « أنتم لديكم المختبر . ولديكم الجيش ولديكم الشرطة .. يمكنكم الوصول لنتيجة سريعة ، فلو كانت هذه حالة من لاسا فإنكم يجب أن تحاصروا القرية .. »

قال بصوت غارق فى الهموم والأفكار :

ــ « سنرى ما بوسعنا عمله .. »

وأغلق الخط ..

أرمق الليل والسواد المتجانس خارج زجاج النافذة .

أرمق الأحراش البعيدة وأتذكر ..

حمى (لاسا) تستجيب بالتأكيد لعقـــار ريبافيرين الوريدى بشرط أن يُعطى فى وقت مبكر .. لم يكن (أنيرو كونتيه) من المحظوظين الذين استجابوا لهذا العلاج ... يعرف الأطباء هذه

القاعدة الذهبية ؛ وهى أن ما يصلح للمريض العــادى البسيط لا يصلح للطبيب ... يصاب الطفل العــادى بالبــرد فيشفى بعد يومين ، بينما يصاب ابن الطبيب بالتهاب رئوى ويدخل العناية المركزة . الكتلة فى ثدى المرأة العادية مجرد اختلال هرمونى ، بينما فى ثدى الطبيبة هى شىء مقلق !

غدًا سيكون يومًا مهمًا .. لو وجدوا حالة أخرى فالويل قادم ، وأنا عبقرى .... سوف أتذكر هذا وأنا ألفظ أنفاسى الأخيرة .. سوف يطلقون اسمى على دورة مياه نقابة الأطباء ..

ولكن ..

لماذا يقود السائق السيارة بهذا التهور ..؟!

بودرجا نائم والطبيبان يثرثران .. يبــدو أن قيــادة الساعات الثلاث أثارت ملل السائق ، وهو يحاول الانتهاء بأقصى سرعة ..

الطريق متعرجة كأنها فى مدينة ملاه ، ومظلمة كقلب كافر ، و وعرة كالمستقبل .. أو مظلمة كالمستقبل .. متعرجة كقلب كافر .. أى شىء .. أى شىء ...

توقف يا أحمق .. قلتها بالعربية .. ثم بالفرنسية .. ثم بالإنجليزية .. ثم بالسواحيلية (أنا أعرف كلمات منها) ..

لكن الأحمق كما قلنا أحمق ، وقد ظل مندفعًا .. ومن مكانٍ ما اندفعت شجرة مجنونة ثملة نحونا تحاول أن تحطمنا .. لماذا لا تقود هذه الأشجار نفسها بحكمة؟ لماذا لا تتعلم القيادة أولاً قبل أن تعرض حياة الأبرياء للخطر ؟

أدار سائقنا مقوده بقوة ليتفادى التصادم.. ويبدو أن قدمه ضغطت على الفرملة بينما كانت سرعته نحو 140 كيلومترًا فى الساعة .. النتيجة هى أننا تحولنا إلى صاروخ ..

هذا ما أستطيع أن أحكيه الآن ..



4 ـ المد والجزر ..

لا أذكر سوى الهلع وذلك الشعور بانعدام الحيلة ..

نحن ننقلب على الأرجح .... نحن نطير فى الهواء ...

هناك من يصرخ .. وهناك من يتمسك بالمقعد ..

ليست هذه أول مرة لى .. لابد أننى قضيت نصف وقتى فى أفريقيا أطير فى الهواء فى سيارات تنقلب ، لكن من الوارد جدًّا أن تكون هذه آخر مرة فعلاً .. بل هى كذلك ..

المشكلة هى أننى لا أجد الوقت الكافى لأنطق بالشهادتين ..

الظلام .....

★ ★ ★

الآن كنت أرى هذا الكادر المهزوز أمام عينى .. مثلما يضعون قطعة زجاج مغطاة بالفازلين أمام عدسة الكاميرا فى السينما ليوحوا بالحلم أو اقتراب فقدان الوعى ..

وعرفت على الفور أننى أفيق من غيبوبة أو فقدان وعى ..

عقلى مشتت ، لكن يمكن بسهولة أن أدرك أن هذا فراش مستشفى ، وأن ذراعى مكسورة .. وأن هناك محلولاً وريديًا يصب فى وريد ذراعى الحرة ..

هذه سافارى .. أعرف هذه الجدران .. أعرف رائحة الجو ..

أنا فى سافارى بيتى .. بيتى الخانق متواضع الإمكانيات ، لكنه بيتى ..

ونظرت إلى اليمين فرأيت الرأس الصغير الأشقر ، وقد وضعت العوينات وكانت تقرأ فى كتيب صغير .. تنحنحتُ وقلت بصوت مغلق :

ـ « أنا بخير .. »

وضعت يدها على صدرى فى مودة .. ورأيت دمعة فى عينيها ..

بالتأكيد كانت تعرف أننى بخير ، لكنها كانت تخشى حدوث ارتجاج وهو ما أظن أنه حدث ..

كان بسام يقف جوارها .. هذا الفتى كتلة أعصاب ملتهبة كالعادة ، وهو أسرع من يبكى أو يتشاجر أو يضرب .. وكان يرقب استيقاظى وهو يرتجف .. هتف :

ـ « حمدًا لله على سلامتك يا أخى .. كلما انقلبت سيارة فى أفريقيا كلها لابد أن تكون فيها .. »

هذا صحيح فعلاً .. رأسى ثقيل جدًا ولعل هذا هو السبب .. إننى أخل بتوازن أى سيارة بهذا الرأس الثقيل .. يا لهذا الصداع الكريه .. ألعن شعور فى العالم ..

عندما استطعت الجلوس ، كان طبيب الأمراض العصبية الكاميرونى (ويليام ميلاجا) يقيس نبضى ثم تفحص قاع العين ... سألته وأنا أفتح عينى عن آخرها ليفحص الحدقة :

ـ « بودرجا ؟ »

ـ « فى غيبوبة .. ارتجاج شديد .. »

ـ « هل .. هل سيفيق ؟ »

ـ « على الأرجح هذا مؤكد .. لا يوجد أذى فى المخ حسب الأشعة المقطعية .. »

ـ « وباقى الفريق والسائق ؟ »

ـ « كلهم بخير .. كنت أنت الأضعف والأكثر حساسية فى هذه القصة .. لكن من الواضح أنك نجوت .. »

القاعدة هى أن السائق المتهور الذى يسبب الحادث برعونته لا يحدث له شىء أبدًا .. لا أعرف السبب .. كم من مرة قرأت عن رعونة سائق أدت لحادث مروع لقطار أو حافلة أطفال ، وفى نهاية الخبر تقرأ (فر السائق) ؟.. لابد أن يكون سليمًا جدًّا كقرد (ليفر) ..

نظرت لبرنادت الدامعة .. ليس هذا المشهد جديدًا .. جربته مرارًا ..

عدت أسأل :

ـ « كم لبثت فى هذه الغيبوبة ؟ »

فكر الطبيب قليلاً ثم قال :

ـ « أنت لم تكن فى غيبوبة بالضبط الآن .. كنت نائمًا .. القصة كلها حدثت منذ يومين ... لقد أصبت بارتجاج دماغى وأعتقد أنك لا تذكر ما حدث بالضبط فى تلك الفترة .. »

سيناريوهات فقدان الذاكرة هذه ...

بالمزيد من السؤال .. كنت أعرف أجزاء من القصة . لكنها ظلت تتسرب من يدى .. كلما أمسكت بجزء طار جزء آخر .. من القسوة أن تحاول استيعاب قصة معقدة كهذه وأنت تشعر بأن فى رأسك بركانًا ، وأنك موشك على القيئ فى كل لحظة .. دوامات القيئ .. متى قرأت هذا التعبير العبقرى ؟.. يلخص كل شىء فعلاً ...

كنت على الشط فى الإسكندرية وأنا طفل . كنت ألبس خفًا .. ثم وضعته على الرمال .. جاء الموج وحمل فردة الخف مغطاة بالزبد وابتعد .. صرخت وركضت لألحق به ، هنا جاءت موجة أخرى وجذبت الفردة الثانية .. هكذا عندما استرددت الفردة الأولى طارت الأخرى وسط الزبد .....

هكذا ألاحق هذه القصة بلا جدوى ..

السيارة انقلبت بين الأشجار ... عندما استعادوا وعيهم لم يجدونى فى السيارة ووجدوا (بودرجا) فى غيبوبة .. بحثوا عنى طويلاً فلم يجدونى . جاءت هليوكوبتر سافارى لإخلائهم .. بعد

يوم ونصف وجدونى فاقد الذاكرة مذهولاً مكسور الذراع فى بلدة قريبة من مكان الحادث .. بلدة اسمها (بيليتول) .

عرفوا أننى من وحـــدة سافارى ، وقـــد اتصلوا بالسلطات الصـــحية التى جـــاءت ، ثم تم إبلاغ ســـافارى كى تنقلنى بالهليوكوبتر إلى الوحدة ..

كل هذا حدث وأنا لا أعرف ولا أذكر ؟.. بالفعل يشبه الأمر الأفلام السينمائية .. سوف يتضح أن لى زوجة وابنًا فى تلك البلدة .. ربما كان اسمى (مولونجا) هناك .. ربما كنت أعمل منقبًا عن النحاس ...

كانت صحفة طعام قد وصلت .. هناك طبق عليه ما يشبه مهلبية الأرز باللبن .. دست (برنادت) الملعقة فى الطبق ودستها فى فمى وهى تقول شيئًا يشبه (هَمّ يا جمل) ..

سألتها وأنا أمضغ :

ـــ « سارة ؟ »

ـــ « بخير طبعًا .. فيما عدا أنها كادت تفقد أباها .. »



هــذا مطمئن .. لابد أنهــا فى حضانة ســافارى تعنى بها الممرضات وسط أطفال المرضى الآخرين .. بالفعل هذا مطمئن .. عندما تنجب طفلاً بينما أمك أو حماتك ليست هنا ، فعليك أن تتحمل النتائج .

لذيذة هذه المهلبية .. من الصعب أن تحب طعامًا فى وحدة سافارى ، لكن هذه المهلبية لذيذة .. تذكرت ودماغى يدق كالطبل الكثير من اللبن .. اللبن الذى يدعى (كوسام) .. الزبد .. لبن لم يتم غليه وكنت أشربه خائفًا ، ثم .. كان هناك وباء ...

تبًا لهذا المخ الضبابى .. المد يغمر الشط ثم ينحسر ..

القرية .. رجــال الفولانى بقبعاتهم المضلعة والندوب على وجوههم .. امرأة تنزف .. أبو لاســة حرير ابن الحتة .. يفوت من تحت الساعة ستة ..

انتفضت مذعورًا وهتفت :

ـ « القــرية .. حمى لاســا ..!.. تـرى هــل فـات الأوان ؟ »

5 ـ عم تتكلم ؟

لم يفهم أحد بالطبع ما أتكلم عنه .. أنت تعرف الظروف .. رجل مصاب بارتجاج فى المخ ويلف رأسه بالشاش ثم يفيق ليلتهم المهلبية ، ثم يصرخ (حمى لاسا) بلا مناسبة ..

هل تعرف ظروفًا أفضل لتتهم شخصًا بالجنون ؟ دعك من أن محاولة المرء أن يبعد التهمة عن نفسه هى خيرَ طريقة ليبدو مجنونًا فعلاً .. تعرف هذا المشهد الخالد فى الأفلام العربية ، الضحية يكرر أنه ليس مخبولاً ، بينما الطبيب يردد فى صبر : « طبعًا .. طبعًا .. ما أبدعك ! » توطئة لأن ينقض عليه ممرضان عملاقان يحملان قميص الكتفين ..

لكننى رحت أكرر طلبى فى حدة :

ـ « دكتور (شيلبى) .. لقد اتصلت به من تلك القرية .. هو يعرف التفاصيل .. »

قاموا بتهدئتى .. حقننى د. (ويليام) بمهدئ ثم وعد بأن يطلب لى د. (شيلبى) .. هو ليس موجودًا الآن لكنهم سيجلبونه لى ..

غادروا جميعًا الغرفة ، بينما جلست (برنادت) على مقعد قريب ، وقالت لى بصوت منوم :

ــ « حاول أن تغفو قليلاً .. »

هذا كلام فارغ .. أغفو بينما هناك وباء (لاسا) يوشك على أن يجتاح الكاميرون .. سوف يبدأ من (أنجاوانديرى) .. ثم يزحف .. ثم إلى تشاد والجابون ... سوف نمرح كثيرًا ..

★ ★ ★

جاء الصباح ..

رأيته يتسلل فى خجـل مـن وراء خصاص النافذة .. وادعًا حنونًا نظيفًا لم يتسخ بعـد .. فتحـت عينى وتثاءبت ، وقررت أن اليـوم مناسب لأعـود للعـالم .. ذراع مكسـورة ليسـت مشكلة .. سـوف تبرأ .. ما زلـت حيًا وهـذا هـو المهـم ، وكما كانت أمى تقول : « ما دام العود موجود .. اللحم يجود » . أى إن هناك حدًا أدنى لوجـود الكائن البشرى .. طالما أنـت

فوق هذا الحد فلا مشكلة ، والمسـألة مسألة وقت وتغذية .. إنما تحت هذا الحد فأنت ميت ..

جاء الإفطار وجلست (برنادت) تراقبنى وأنا آكل .. طبعًا ترفض الأكل وتزعم أنها تناولت طعامها مبكرًا ..

قالت إن (بارتلييه) زارنى أمس بعـد النـوم .. من هو (بارتلييه) ؟.. تبًّا لهذا العقل المهتز المتذبذب .. والجراح الإيطالى العظيم .. ماذا كان اسمه ؟.. سبالانزانى ؟.. ذلك الإسرائيلى الوغد طبيب العيون .. سوف ينهكنى التذكر فعلاً ..

بعد ساعة وصل (شيلبى) .. تذكرته بلا جهد ..

كان منتعشًا كالمصيبة كعادته ورائحة العطر الفاخر تفوح منه ، وكان يرفع عويناته على مقدمة رأسه وسـط الشعر الأشيب ، وقد وضع يديه فى جيبى معطفه الأنيق ..

قال لى فى مرح :

ــ « أنت قد عدت لقواك أيها الشاب .. هذا يسعدنى فعلاً .. »

قلت له فى لهفة :



ـ « د. شيلبى .. تلك الحالة التى حدثتك عنها هاتفيًا .. فى قرية الفولانى .. قرية اسمها (هاكيلى) .. قلت لك إننى أشك فى أنها حمى نزفية .. »

بدا حائرًا بعض الشىء ثم قال :

ـ « لا أذكر .. .. »

ـ « حالة امرأة تنزف بلا توقف .. قلت إننى أشك فى أنها حالة (لاسا) لكنك لم تقتنع .. قلت إن هنـاك عشرات الأسباب الأخرى ... »

نظر لى فى ثبات بعينيه الشفافتين .. ثم هز رأسه فى إصرار :

ـ « لا أذكـر شـيئًا كهـذا .. فقـط انقطعـت المكالمة .. كنت تكلمنى عـن حالة سـقيمة جـدًا لكن بصراحـة لا أذكر التفاصيل .. »

لم أتوقع هذا .. لا أحد ينسى مكالمة تخبره عن مريضة تنزف من كل فتحاتها .. لا أحد ينسى بهذه السهولة ، خاصة أن هذا كان منذ ثلاثة أيام أو أقل ..

قلت فى عصبية :

ــ « أريد العــودة إلى تلك القرية .. لابــد أن المرأة ماتت .. ولربما انتشر الوباء .. »

وضع يده على يدى وابتسم وقال :

ــ « ليس الوقت مناسبًا .. أنت تمر بما بعــد الارتجاج .. أى أن حالتك خطرة فعلاً .. يجب أن تصبر يا بنى .. »

ثم نهض وحيا برنادت .. وانصرف ..

كنت أنا فى حالة سيئة فعلاً .. لا أحد ينسى بهذه البساطة .. هل أنا وحدى المتحمس صادق النية هنا ؟

قلت لبرنادت أن تجلب لى هاتفى المحمول .. قالت وهى تضحك :

ــ « طبعًا قد ضاع .. تهشم .. لا أحد يدرى .. عندما تنقلب بك سيارتك وتضيع وسط الأشجار .. فإن من الصعب أن تحافظ على هاتفك مهما كان غالى الثمن .. »

ــ « لكن عليه أرقامًا مهمة .. »



كانت هناك مكالمة أجريتها فى الظلام قبل الحادث بلحظات .. اتصلت بـد. (نزو مبيـدا) فى وزارة الصـحة .. قال لى إنه سيقوم بما يستطيع القيام به . لكن أين رقمه ؟.. كان مدونًا فى ذاكرة الهاتف ..

قلت لبرنادت :

ـ « يجب أن تجـدى رقم هاتف د. (نزو مبيدا) .. وزارة الصحة الكاميرونية . هذا الرجل يعرف القصة كاملة .. اتصلت به قبل الحادث .. »

أخرجت ورقة من جيبها ودونت الاسم ووعدت بأن تبحث عنه .. ثم طلبت منى أن أستريح ..

لن أستريح .. أعـرف نفسى عنـدما يتدفق الأدرينالين فى عروقى .. لا يتلاشى بسهولة .. عنـدها يستحيل النوم أو الأكل أو الاسترخاء . ضربات قلب سريعـة ورغبة فى الشجار وحدقة متسعة ..

تذكرت كذلك (بودرجا) .. كـان معى أثنـاء فحص الزوجة المريضة .. لا شك أنه ....

لكن (بودرجا) فى غيبوبة ولا يمكن أن أطلب منه شيئاً ...

قلت لبرنادت أن تجلب لى ثيابى .. يجب أن أغادر هذا الفراش اللعين لأبدأ حياتى ...

★ ★ ★



6 ـ إنهـم يكذبـون ..

هأنذا فى وحدة سافارى من جديد .. يرحبون بى فى حرارة .. يوشكون على الهتاف (لا يستطيع الموت أن يقهر ريتشارد) لو كانوا قد رأوا فيلم (صلاح الدين الأيوبى) ..

معظم هؤلاء أصدقاء أعزاء .. أحب وجوههم .. حتى من أكرههم لهم مذاق خاص ..

كنت أمشى جـوار برنادت .. خطـواتى متعثـرة ثقيلة لكنى أمشى ..

لا أعرف متى أستطيع الخلاص من جبيرة الذراع ولا متى أفك ضمادات الرأس .. لابد أن أذهب لقسم العظام لأعرف رأيهم .. لكنى قادر على العمل ..

هكذا توجهت لقسم العظام ، حيث كان طبيب أمريكى يدعى (جاكوب) ، شاب ظريف وبيننا صداقة طويلة ، أحضر الأشعات وتفحصها وقال إن الأمور مطمئنة ..

جاءت (برنادت) بعدما أجرت بعض المكالمات ، ثم عادت لى وقدمت ورقة صغيرة فيها بعض الأرقام ، وقالت :

ـ « د. (نزو مبيـــدا) .. وزارة الصحة الكاميرونية . أعتقد أن أحد هذه الأرقام سيرد .. »

أخذت هاتفها المحمول وجلست إلى المكتب هناك فى قسم العظام ، وباليد السليمة رحت أحاول طلب أحد هذه الأرقام .. فى النهاية سمعت صوتًا مميزًا يسأل عما هنالك ..

ـ « د. مبيدا ... أنا طبيب وحدة سافارى الذى اتصل بك منذ ثلاثة أيام .. بخصوص اشتباه فى حمى (لاسا) بقرية من قرى الفولانى . هل قمتم بعمل شىء ؟ »

فى صدق تساءل :

ـ « لا أفهم ما تتحدث عنه أيها الشاب .. لا أذكر شيئًا كهذا .. أنت تعرف كم مسئولياتى .. »

ـ « قلــت لــك إننى أشــتبه وطلبــت أن ترســلوا بعــض رجال الجيش أو الشرطة هناك .. مســتحيل أن تكــون قد نسيت هــذا .. »



ـ « بالفعل لا أذكر .. وعلى كل حال لا يوجد شىء ولم يتم إبلاغى بشىء غريب .. »

ماذا أصاب هؤلاء القوم ؟

كانت (برنادت) تراقب تعبيرات وجهى .. خيبـة الأمل على ملامحى بدت واضحة جدًّا . لكنى ببساطة لا أشك فى حواسى .. أعرف جيدًا أننى رأيت ما رأيت ...

أغلقت الخط ..

المشكلة هى أننى فى وضع ينثر شكوكًا لا حصر لها حول حالتى العقلية . إذا لم يهذ رجل خارج من ارتجاج مخ بعد حادث سيارة فمن يهذى إذن ..؟

أنا نفسى أشعر بارتباك واضطراب ذاكـرة .. لا يوجـد شىء واضح أو حقيقى ..

فى النهـاية نهضت من مكانى . قلت لبرنـادت إننى فى حالة لا تسمح لى بالعمل اليـوم .. لا أستطيع التركيز . المدير لن يعترض بالطبع فلا أحد يتوقع منى أن أعمل ..

لكنى طلبت أن أرى (بودرجا) المسكين ..

ذهبت لأراه فى العناية المركزة ، وكان فى غيبوبة عميقة .. لكن علاماته الحيوية ثابتة ، ويتوقعون أن يفيق من وقت لآخر . كان وجهه متورمًا ولون أزرق يحيط بعينيه .. لكن لا يوجد كسر فى قاع الجمجمة ولا يوجد نزف داخلى .. هذا ما قالته الأشعة المقطعية .

أعتقد أنه سينجو .. أرجو هـذا . (بودرجا) جـزء مهم من سافارى لا يختلف عن المدير أو نائب المدير .. ليتنى أقدر على عمل شىء له ..

★ ★ ★

فى الظلام ، راقدًا على ظهرى لأريح ذراعى المجبرة ، رحت أنظر للأشباح المرتسمة على شاشة خيالى .. كنت أستعيد المشاهد بالضبط .

لكن هناك بالفعل بقعة مظلمة .. هناك جزء كامل من ذاكرتى قد احترق كأفلام الكاميرا عندما تتعرض للضوء .

ماذا فعلت بالضبط بعد الحادث ؟ أين ذهبت ؟.. وجدونى فى بلدة اسمها (بيليتول) .. كيف ذهبت هناك ؟.. ماذا فعلت ؟

هذه البقعة الخالية مـن ذاكرتى تضايقنى جـدًا .. إن ضحايا (ألزايمر) يمرون بجحيم حقيقى .. على الأقل هم لا يدركون سوء حالتهم .. ينسون أنهم ينسون ، أما أنا فأذكر جيدًا أننى أنسى ...

نمت نومًا مضطربًا .. كنت أصحو من النوم فأقول لنفسى إننى أنام نومًا مضطربًا ثـم أنام من جديد ..!... وعنـدما صحوت أخيرًا كان المساء قد جاء ، ولم تكن (برنادت) فى البيت وكانت (سارة) نائمة .. لابد أن برنادت نوبتجية هذه الليلة . لا أعتقد أن (سارة) سوف تصحو الآن برغم أن هـذا خطأ قاتل منى .. ارتديت ثيابى فى حذر .. يبدو أننى أحتاج لبعض الوقـت حتى أعـرف كيف ألبس قميصى وذراعى مكسـورة ، ثم غادرت البيت ..

الحديقة الصغيرة الأنيقة التى زرعت ، أنا و(برنادت) كل ملليمتر فيها ، ثم الممشى الطويل بين الأشجار ورائحة المساء والليل الأفريقى .. هناك تقف سيارات سافارى بشعارها المميز ، وهناك البناية الصغيرة التى يوجد فيها مولد الكهرباء .. رائحة الجازولين كذلك .. صوت حشرات الليل .. إضاءة خافتة من عدة أعمدة نور ..

اتجهت إلى مكتب بارتلييه .. أعرف أنه هناك الآن .. لا يمكن ألا يتواجد فى المكتب ليلاً .

تلقيت الكثير من عبارات التهنئة بالعودة . وحييت السكرتيرة ثم دخلت إلى المدير البدين الشحيم طيب القلب ، الذى جلس يكتب خطابًا على الكمبيوتر ، وأمامه عشاء دسم من الوجبات الجاهزة القاتلة .. السكرتيرة منهمكة فى عمل آخر لذا يكتب خطاباته بنفسه ..

قال لى فى سرور :

ـ « د. عبد العظيم .. يسرنى أن أراك على قدميك من جديد . زرتك وأنت فى غيبوبة لكنهم قالوا لى إنك نائم .. »

جلست وشكرته على اهتمامه .. ثم بدأت أحكى عن خبرتى الأخيرة ..

عرجت على الفولانى والمرأة التى كانت تنزف بلا توقف .. اتصالى بشيلبى ووزارة الصحة ... الوضع مقلق .. لقد اختارت السيارة ألعن لحظة ممكنة لتنقلب . هكذا فقدت اتصالى بالقصة ..

فكر (بارتلييه) قليلاً ، ثم تناول تفاحة ليقضم منها .. وقال :

ــ « لا يمكنك قول إن هذه حمى (لاسا) .. الحميات النزفية ليست لعبة سهلة .. ثم إن حمى لاسا لم تظهر فى الكاميرون على قدر علمى .. قل غينيا أو نيجريا أو سييراليون وأنا أصدقك لكن لا تكلمنى عن (أداماوا) .. يمكن أن نقول إن هذه حالة نزف عامة . ربما تجلط وعائى منتشر . لكن لو قلت حمى نزفية لانقلب العالم .. »

ــ « إذن انا أريد من ينفى هذا يا سيدى .. »

ــ « تقول إن رجل وزارة الصحة لا يعرف شيئًا عن هذه القصة .. لو كانت حمى (لاسا) لما بقى حجر فوق حجر .. كانوا سَيُخلُون قرى بأكملها .. »

قلت فى إصرار وأنا أحدق فى البساط :

ــ « سيدى .. هذه حالة تستحق العزل والدراسة .. لم أطلب سوى هذا .. »

أمسـك بالملف أمامه ودَوَّنَ فيـه بعض كلمـات ، ثم تناول سماعة الهاتف واتصل بأحدهم :

ـ « جابرييل .. د. بارتلييه معك .. أريد أن تتجه سيارتنا غدًا إلى قرية اسمها ... »

ثم نظر لى متسائلاً فقلت :

ـ « (هاكيلى) .. اسمها هاكيلى .. من قرى الفولانى .. »

عاد يكرر الأمر فى الهاتف :

ـ « هاكيلى ... أريد طبيبين معك .. لدى طبيب هنا يتحدث عن حمى نزفية .. هل تريد مترجمًا ؟.. أنت من الفولانى أنت نفسـك ؟.. عظيم .. عظيم .. أريد أن تمسحوا القرية جيـدًا .. لو وجدتم هذه المرأة فلتعملوا على عزلها ونقلها لنا .. »

شعرت براحة بينما هو يضع السماعة وينظر لى من فوق إطار العوينات المتدلى على قصبة أنفه ، بما معناه (هل من شىء آخر ؟) . ابتسمت بما معناه (ليس لى أن آمل فيما هو أكثر) . هز رأسه بما معناه (يمكنك أن تنصرف) .. فهززت رأسى بما معناه (أفضل البقاء معك فترة أخرى) . لكنه حرك كتفيه بما معناه أنه مشغول .. لهذا فضلت الانصراف ..

★ ★ ★



مساء اليوم التالى اتجهت إلى مكتب (بارتلييه) .. كنت شغوفًا بمعرفة ما وجدته تلك الحملة ..

لما دخلت مكتبه قال فى هدوء :

ــ « للأسف هناك امرأة فعــلاً .. كانت مصابة بفشل كبدى متقدم وماتت .. أنت فحصتها فعلاً قبل الوفاة .. دفنت .. انتهت القصة .. »

كنت أفكر فى عمق .. هل الفشل الكبدى يؤدى لهذه الصورة ؟ لا أعتقد ... بركة دم حولها .. عينان محتقنتان .. سعال ..

أنا لست تلميذًا فى السنة الأولى بكلية الطب .. لقد رأيت الكثير من حالات الفشــل الكبــدى ورأيت الكثيــر من الحميات النزفية .. لم يعد الخلط ممكنًا أو هذا ما أعتقده ..

على كل حال لم يعد من الممكن أن أتزيد أكثر .. لقد انتهت القصة فعلاً . لن أطلب نبش قبر هذه السيدة .. ليرحمها الله ..

ما سأفعله لن يكــون ســوى برهــان على تعصبى أو عنادى أو ربما جنونى ..

قلت وأنا أنهض :

ـ « فقط أرجو يا سيدى أن أكون حمارًا .. لقد كانت الصورة مريبة جدًا .. »

قال فى بساطة :

ـ « لقد تحققت أمنيتك !... هذا واضح .. »

ما معنى هذه العبارة ؟.. هذا الرجل يقول كلامًا غريبًا فى بعض الأحيان ..

غادرت مكتبه ووقفت فى الخارج بعض الوقت أرمق الظلام ، والليل الذى أسدل عباءته على حديقة سافارى ..

بالفعل انتهى دورى .. لا يمكن أن أكون ملكيًّا أكثر من الملك ، أو أصر على رأى ثبت خطؤه .. على الأقل هناك امرأة .. وهذه المرأة ماتت بشىء يشبه ما رأيته أنا . لو قـال لى المدير إنه لا توجد سـيدة مريضة .. لو قـال لى إنه لا توجد قرية اسمها (هاكيلى) لجننت ..

لكن لماذا أنكر (شيلبى) أننى حكيت له أى شىء ؟!

يمكن لشيلبى أن ينسى .. لقد كانت شبكة الاتصال فى أسوأ حالٍ لها ..

لكن ماذا عن الكاميرونى (نزو مبيدا) ؟.. بالتأكيد لم ينس مكالمتى الليلية .. قبل الحادث بدقائق ..

سحلية صغيرة رشيقة ركضت أمامى ، ثم تصلبت وراحت تنظر لى بعينين مذعورتين .. وخفق جفنها الرامش .. لم تكن متأكدة من موقفها بالنسبة لقدمى .. هل تهوى عليها من فوق لتنهى حياتها ؟.. ما هو القرار الصحيح ؟.. أين تذهب ؟... نحن لا نمزح هنا ..

قلت لها وأنا أرفع قدمى حتى لا أدوسها :

ــ « هل تعلمين أيتها الحسناء ؟.. أعتقد أنهم يكذبون ! »

7 ـ فتـرة حضـانة ..

بودرجا أيها العزيز .. ترى ماذا دهاك ؟

بودرجا .. كنت فى قمة مرحك وحيويتك فى تلك الليلة ، برغم أن خطر العدوى كان قائمًا .. قلت لى :

ــ « تفو ... سوف نموت يا دكتور .. لقد أصبنا بالعدوى .. »

بلا مبالاة كأنك تؤدى واجبًا أو كأنك تتكلم عن شخص آخر سوانا .. لقد علمتك السنون أنه لا شىء يهم .. تمرض .. تصحو .. تموت .. كل الأشياء تتساوى فى النهاية . لا يوجد ما يستحق الضجيج .

بودرجا ..

أنـا الآن واقـف أمام فراشـك أرمـق بشرتك السـوداء اللامعـة وقنـاع الأكسجين على أنفك .. تتنفس بشكل طبيعى بلا شك ، لكن هنـاك ارتفاع الحرارة غير المفهوم هـذا .. أنت ترتجف ..

طبيب الحميات يفحصك .. يضع كفه على صدرك ويحاول ثنى عنقك .. العنــق متصلب تمامًا ... هل هو التهاب سحائى أم إن هناك كسرًا فى فقرات العنق ؟

بودرجا ..

أنت وحدك فى هذه الغيبوبة تملك الإجابة الصحيحة ..

ثم رأيت طبيب الحميات يجثو جوار الفراش ... يمسك بمعصمك الذى ثبتت فيه القناة الوريدية .. بدت عليه الدهشة لأن الدم كان ينز حول القناة الوريدية .. الذراع مليئة ببقع زرقاء متسعة تشى بنزف تحت الجلد ..

هذه علامات لم نرها أمس ...

نظرت لطبيب الحميات ونظر لى ...

ثم رأيته يتجه لجهاز الهاتف المعلق فيطلب البروفسور (أرثر شيلبى) ..

★ ★ ★

ستة أيام ..

منذ ستة أيام أو سبعة كنا نقف جوار تلك المرأة من الفولانى ونفحصها ... كم تبلغ فترة حضانة حمى (لاسا) ؟.. خمسة أيام إلى أسبوعين ...

هل كان الفيروس يشق طريقه فى دم ولمف (بودرجا) بينما كان فى غيبوبة بعد حادث السيارة ؟.. الفيروسات لا تهتم بالشرف .. ولا تنتظر ضحية واقفة على قدميها لتنازلها .. إنها تهاجم أى شخص فى أى وقت ..

هكذا رحت أرتجف فى توتر ..

ربما كانت نبوءة الرجل دقيقة أكثر مما تصورت ..

كان طبيب الحميات يصدر أوامره بتحديد فصيلة دم (بودرجا) .. لابد من تركيب محلول دكستران إلى أن نفهم القصة ونصل لتشخيص ، لكن الدم أكثر أهمية ..

فى هذه اللحظة ظهر (شيلبى) ..

لم يكن ينظر لى ولا للطبيب .. كان يرمق الكدمات فى ذراعى (بودرجا) . تقطب جبينه حتى صار كالأوكورديون .. ثم قال بلهجة آمرة :

ــ « هاتوا لى كمامة .. أنتما أيضًا إلبسا كمامتين .. من الآن فصاعدًا لن يتعامل معه شخص من دون كمامة .. »

الرجل بارع فعلاً .. أعرف هـذا .. لقد فهم على الفور معنى ما رآه لكنه احتفظ بغموضه ..

هرعت ممرضة تجلب له ما طلب .. هنا سألته :

ــ « هل هذا كاف ؟.. كمامات فحسب ؟ »

ــ « سوف نبعده ... سوف ننقله لغرفة معزولة جيدًا ونتخلص من فضلاته بطريقة صحية حذرة .. سيتم التعامل معه كحالة شديدة العدوى إلى أن نصل لتشخيص صحيح .. »

ثم أضاف بلهجة ذت معنى :

ــ « قد لا تكون حالة عدوى أصلاً .. هناك ألف سبب لهذا النزف ... »

ــ « لا أعتقـد أنه انتهـز فرصـة ما بعـد الحـادث ليصاب بسرطان دم .. »

نظر لى نظرة حادة قاسية ، لأنه شعر بأننى أسخر منه .. ثم قال :

ـ « سوف نبدأ إعطاء عقار الريبافيرين وريديًا على سبيل الاحتياط .. »

بانتصار صحت :

ـ « أنت إذن تقر أنها حالة حمى نزفية .. »

ـ « أنا لا أقر بشىء .. سوف نأخذ عينات ونرسلها للتحليل فى (ياوندى) .. لا نملك إمكانيات تسمح بهذه التحاليل المعقدة هنا . هذا قد يستغرق وقتًا ، وأنا لن أتركه يموت إلى أن نعرف الحقيقة .. سوف نبدأ العلاج بسرعة على سبيل الاحتياط .. هذا هو العلاج الإمبريقى .. »

قلت فى انتصار :

ـ « كم حمى نزفية لها فترة حضانة تقترب من أسبوع ؟.. أنا لا أعرف سوى حمى (لاسا) .. »

ـ « لم أقل إنها حمى نزفية أصلاً أيها الشاب .. »

كان مراوغًا كثعلب يستحيل الإمساك به .. لا يمكن أن تثبت شيئًا من كلامه .. لا يؤكد ولا ينفى .. أعترف أن طريقته

هذه أقرب للعلم لكنها تثيـر غيظى فعـلاً . أنا لا أطيـق صبرًا ولا أحتمـل أنصـاف الحلول .. ربمـا لم أخلق بالفعـل لأكون عالمًا ...

هكذا وقفت أراقب عملية نقل (بودرجا) للمعزل .. أخْذ عينات منه .. بَدْء العلاج ...

فلندع الله ألا أكون أنا الآخر فى طريقى لهذه النهاية .. لقد أصبت ذات مرة بحمى نزفية (العيون التى تنزف دمًا) ونجوت بمعجزة ..

بالطبع يجب ألا أحكى ما طلبه منا المدير .. هذا سر !...

لن أحكى لكم أنه وقف خارج المعزل ، وقال لنا بكلمات واضحة إن علينا أن نتكتم الأمر .. لا يريد أن يحدث ذعر عام .. الحميات النزفية مخيفة وسوف تحدث بلبلة رهيبة .. لو اتضح أننا مخطئون فلن نجد كلمات اعتذار كافية أبدًا . الطب لا يغفر للأغبياء حسنى النيـة لمجرد أنهم حسنو النيـة ... بالطبع لن أحكى لكم هذا الكلام وإلا فكيف يكون سرًا ؟

كنت أنا أفكر ..

ماذا لو مات (بودرجا) فجأة ؟ ماذا لو ضاعت التحاليل ولم يثبت شيء ؟

لابد من أن أؤمن نفسى أكثر ..

هكذا هززت رأسى ووعدت بأن أخرس كسمكة .. كان (بارتلييه) ينظر لى فى ثبات وعيناه تقولان (سوف تثرثر أيها الكذاب .. لا شك فى هذا) .. لهذا تجاهلت نظراته متظاهرًا بأننى لن أثرثر ، وتشاغلت بقراءة العلاج الذى يكتبه (شيلبى) فى التذكرة .. هناك دم لتعويض هـذا الذى نزف .. هناك محلول دكستروز .. هناك أجسام مناعية .. هناك ريبافيرين وريدى .. هـذه هى ترسانة الطب الكاملة ... ثمة أدوية أخرى لكنها خاضعة للتجربة ولا يمكن وصفها بعد ..

قبل أن أنصرف عاد (بارتلييه) يكرر :

ـ « علاء .. كل هذا سر .. اتفقنا ؟ »

لما عدت للبيت كانت (برنادت) فى المطبخ تعد الطعام ..

نزعت ثيابى فى الحمام ووضعتها فى المغطس ... صرت أعامل نفسى كالمصابين بالجذام منذ عدت لعالم الواقع . لم أعد أقبل (سارة) أو أعانقها .. أخشى أن أكون أنا الموت ..

لقد صرت الموت .. أنا مدمر العالم

هذه هى عبارة الصلاة الهندوسية التى همس بها (أوبنهايمر) بعد ما رأى الانفجار الذرى الأول الذى اخترعه فريق علمائه ..

ارتديت منامتى ، وجلست فى غرفة النوم متربعًا على الفراش .. بحثت عن هاتف (برنادت) الخلوى ، وبحثت عن بطاقة أحتفظ بها تحت زجاج الكومود ..

الصحفى الكاميرونى (تشارلز أسالى) ..

(أسالى) صحفى شاب مجنون قليلاً وشيوعى بشدة ، وهو موجود فى (أنجاوانديرى) .. صديق قديم .. يهوى دومًا أن يسبح عكس التيار وأن يصدم رأسه فى الصخور الصلبة للنظم . أعرف أنه سيحب كثيرًا جو الغموض والقذارة السخيم على هذه القصة ..

تذكرنى على الفور .. كنت قد أعطيته أكثر من تحقيق صحفى جميل ..

هتف عبر الهاتف يسألنى كيف يسدى لى العون ..

حكيت له كـل شىء بالتفصيل .. المـرأة التى تنـزف .. اتصالى بوزارة الصحة .. مرض (بودرجا) الغامض .. جو التحفظ الواضح ..... كل شىء ..

يمكنك أن تنشر هـذا ولكن لا تذكـر اسمى .. استعمل طريقة الصحف الصفراء فى مصر .. صرح مصدر طبى أن كذا وكذا ..... ويقال إن ممرضًا من العاملين فى منشأة طبية عالمية لها طابع خاص اسمها (س ..) .. يقال إن هذا المريض أصيب بنفس العدوى . د. (ن .. م) فى وزارة الصحة أصر على أنه لم يسمع شيئًا عن الموضوع .. نحن نطالب وزارة الصحة بالتحقيق وعمل اللازم ...

قال لى فى حماسة أنه سيفعل هذا لكنه سوف يستكمل التحقيق أولاً ..

قلت له فى غيظ :

ــ « لا تكن جحشًا يا تشارلز .. لا تكتب عبارات مثل : قال لنا طبيب مصرى فى تلك الوحدة اسمه (ع .. ع .. ع) كذا



وكذا ... أنت بهذا تسبب إنهاء تعاقدى والطرد .. ربما السجن كذلك .. »

ضحك كثيرًا وقال :

ــ « لا تخف .. لن أذكر سوى (طبيب مصرى ملتح له زوجة كندية) ... »

ــ « هذه تعمية كاملة .. أشكرك .. »

ثم أضفت :

ــ « تشارلز .. ما ستفعله مهم لوطنك .. قد تنقذه من وباء مخيف .. متى تنشر الخبر ؟ »

قال فى حذر :

ــ « لابد من بعض التحقيق ..أنا لن أنشر الخبر اعتمادًا على كلامك فقط .. »

ــ « هذا من حقك .. فقط أبقنى بعيدًا عـن الغبار أرجـوك . لو اتضح أن هذا إنذار كاذب فسوف يطير عنقى ، بينما أنت معتاد على تلقى السباب .. »

ـ « لو جاء يوم لا يتهموننى فيه بأننى ألفق الأخبار لأننى شيوعى أحمر ، فلسوف أشعر بالقلق .. »

أغلقت الهاتف ورحت أحملق فى غطاء الفراش بعض الوقت ..

ظهرت (برنادت) على الباب تخبرنى أن حساء (البروكولى) سيبرد .. بروكولى ؟... القنبيط الذى حاول أن يصير خرشوفًا فلم يستطع .. شىء لا تستسيغه أبدًا معدة رجل مصرى اعتاد محشو الكرنب والملوخية والمسقعة .. لكننى لن أحطم قلبها فى آخر أيام حياتى ..

كنت ساهمًا على مائدة الطعام وأنا أعبث بالملعقة فى الحساء .. غارقًا فى تفكير عميق ..

سألتنى عن سبب شرودى .. كررتْ سؤالها ثلاث مرات وهى ترفع نبرتها بطريقة (الكريشندو) لأننى لم أسمعه ، فقلت لها فى المرة الثالثة :

ـ « إنهم يكذبون .. »



8 ـ صديقى ..

كانت مأدبة مـن الأطعمة الوطنية فى دار أحـد المهندسين الكاميرونيين الأثرياء . لقد دعا معظم أفراد وحدة سافارى ولم أستطع سوى القبول برغم أننى متعكر المزاج ..

لا أحد يستمتع بالأكل وهو مكسور الذراع ، وبعد خروجه من حادث ، بينما الناس يعتقدون أنه يهذى . يجب الحذر هنا فى هذه المآدب .. يجب أن تعرف ما تأكله بالضبط لأن لحم (الشمبانزى) من اللحوم المحببة غالية الثمن هنا .

هناك نوع من الكباب اسمه البروشيت .. يصنع من لحم الغنم لهذا أنا مطمئن له ، ويقدم مع السانجاه المصنوعة من أوراق الكاسافا .. طبعًا لابد من تجنب الندوليه اللعين ..

كان الكل يتبادلون المزاح ، ووقفت (برنادت) جوارى رشيقة أنيقة .. تذكرت أغنية (السيدة ذات الثوب الأحمر) التى كتبها كريس دى بيرج بعد ما رأى زوجته فى حفل ، فشعر أنه يراها أول مـرة وراح يحسد نفسه على أن هـذه الحسناء له هو ..

(برنادت) لا تلبس الأحمر لكنى فى حالة نفسية تسمح بفهم هذه الأغنية ..

تسألنى عن (سارة) ؟.. (سارة) الآن مع مربية أفريقية تعمل فى حضانة الوحدة .. فى المساء تعمل كجليسة أطفال .

(برنادت) تنقل المزيد من قطع الخبز المحمص لطبقها وتتبادل الكلام فى حرارة مع سيدة كاميرونية تلبس الزى الوطنى ..

أرى من بين المدعوين هنـــا (شيلبى) .. أرى (باركر) .. (هيلجا) .. الوغد ليفى ... كل واحد ملأ شدقيه بالطعام وراح يثرثر ...

أشعر بدوار .. هذا الحر الخانق والكل يتكلم فى وقت واحد . صارت عندى تلك المتلازمة الشهيرة التى تجعلنى أشعر بدوار وغثيان عندما يصخب الجميع .. كأن هذا كله غير حقيقى ..

(برنادت) منهمكة ، لذا حملت طبقى وخرجت للشرفة ..

هواء .. أخيرًا ..

الطقس حـــار جـــدًا كالعادة لكنى أحب طابع الليـــل الأفريقى هذا ... أحب أن أقف وظهرى للصخب لأشعر بأننى وحيد غريب وأتألم .. شعور رائع !!

أسندت الطبق لحاجز الشرفة لأتمكن من الأكل بيدى السليمة..

هنا سمعت صوتًا ناعمًا من خلفى يقول :

ـ « إنه الفرار إذن ؟ »

نظرت للخلف مجفلاً فرأيت فتاة أفريقية تلبس الزى الوطنى .. العمامة العالية والجلباب المزركش ، لكن فى ملامحها جمالاً واضحًا ... رقيقة جدًا .. لقد علمتنى (أونوابا) كيف أتذوق الجمال الأسود .. بل صرت أعتبره درجة أرقى من الجمال ...

نظرت لها فى دهشة من هذا التبسط .. فقالت وهى تستند إلى حاجز الشرفة :

ـ « أنت تتخلى عن قتلاك بسرعة .. »

من جديد لم أفهم .. من أنت أيتها الحسناء ؟

قالت بذات النعومة :

ـ « نسيت بوكونا بسرعة جدًا .. كنت تهمس فى أذنى أنك لن تتخلى عنى أبدًا .. سوف تذكرنى للأبد .. هل هذه المرأة الغربية هى زوجتك ؟.. جميلة ورقيقة فعلاً ، لكن واضح أنها لا تفهمك .. »

كنت موشكًا على الجنون .. لابد أنها مخطئة فى الشخص .. قلت لها فى لطف :

ـ « معذرة .. اسمى علاء عبد العظيم .. مصرى يعمل فى وحدة سافارى .. »

ـ « عرفت هذا .. لكن ما أهميته ؟ »

ـ « ومصرة على أنك تعرفيننى ؟ »

بدا عليها الذهول والامتعاض وقالت :

ـ « تتكلم كأنك لم ترنى من قبل .. هل أنت بكامل قواك العقلية ؟ »

قلت فى ثبات :

ـ « فعلاً لم أرك من قبل .. »

ـ « لقد حسبت هذه لعبة فريدة من ألعاب القدر .. أن يدعونى المهندس للحفل ، وأن أقطع هذه المسافة ثم أراك أنت .. هذه زوجتك معك . خمنت هذا .. لذا انتظرت فرصة كهذه عندما تنفرد بنفسك .. لكنى أراك تدعى أنك لا تعرفنى .. »

(بليتول) ... البلدة التى وجدونى فيها بعد الحادث .. هذه الفتاة من أحداث الفترة الممحوة من ذاكرتى .. لا شك فى هذا .. لكنها تقول كلامًا مريبًا مقلقًا ..

قالت فى دهشة وهى ترمق ذراعى :

ـ « لكن .. متى أصيبت ذراعك ؟ »

قلت فى صبر :

ـ « فى الحادث .. حادث السيارة .. لو كنت قـد عرفتنى فى (بليتول) حقًا فلابد أن ذراعى كانت مكسورة .. أطباء سافارى قاموا بتجبيرها لى .. »

كورت شفتيها فى عناد وقالت :

ـ « لا .. لم تكن مكسورة وأنت عندى .. كنت سليمًا كجرس .. »

بدأت أشعر بالحيرة .. هناك هوة واسعة تنفتح تحت قدمى .. عدم اليقين .. أسوأ شعور فى العالم .. الخوف من أن حواسك تخدعك ..

قالت وهى تنظر لليل وتنشق عطره :

ــ « التقينا فى ذلك البار فى الشارع الرئيس .. كنت فى حالة طيبة ما عدا أن ثيابك متسخة .. لكنك كنت تائهًا تمامًا .. كنت كطفل معدوم الحيلة .. أعتقد أننى وقعت فى الحب من أول نظرة.. المرأة لا تقاوم الرجل الذى يحتاج لها حقًّا لأنه يداعب فيها شعور الأمومة . غادرنا بعدها معًا .. ثم ذهبنا لشقتى .. أمضيت الليلة معى .. »

أنيابها تستطيل كما فى أفلام الرعب .. لونها يخضر .. أذناها تتحولان لأذنى خفاش ... هذا ما رأيته ..

كنت قد وصلت لحالة لا توصف من الخبال .. أنا فعلت هذا كله ؟.. وكنت فى شقتها ؟... هــذه المــرأة تمزح أو مخبولة . تذكرت الأفلام العربية عندما يجلب أحدهم ممثلة وأطفالاً ليقنع زوجة البطل أنه متزوج من امرأة أخرى .. هذا موقف شهير ..

صحت فى عصبية :

ــ « سيدتى .. أنا لا أعرف من أنت ولا أذكر أننى رأيت وجهك قط .. لم أفعل شيئًا من هذا كله .. »



نظرت لى فى ثبات وقالت مشفقة :

ــ « لابد أن هذا الحادث القذر أثر على ذاكرتك فعلاً . قرأت عن أشياء كهذه .. للأسف حسبت أن لقاءنا هنا سوف يذكرك بكل شىء وتعود قصة حبنا تتوهج .. لكن ما هو شعورك لو قابلت شخصًا قضيت معه ليلة كاملة ، ثم يخبرك بعد يومين أنه لم يرك قط ؟ »

هناك فقدان ذاكرة محدد Circumscribed فلا يذكر المريض فترة محددة .. لكن يذكر ما قبلها وما بعدها .. أنا فعلاً أمر بشىء كهذا .. لكن هل فعلت هذا كله وأنا فاقد الذاكرة ؟.. هل كانت لدى قوى كافية لأدخل البلدة وأجول فى الحانات ثم أتعرف فتاة ؟... بعد الحادث الذى كاد يقضى على ؟.. وما قصة كسر الذراع هذه ؟.. متى كسرت ذراعى بالضبط ؟

سألتها وأنا أرتجف :

ــ « متى . متى تركتك إذن ؟ »

أشرق وجهها وقالت فى انتصار :

ــ « آها .. الآن تعترف أن كلامى صائب . لقد رحلت فى الصباح ووعدتنى بأن تعود للقائى .. بعد يوم تلقيت أنا دعوة لهذا الحفل .. ولم أتوقع أننى سألقاك .. »

كانت الآن تســتند على بشــكل كامل كأننى جــذع شجرة توت أو عمود نور ... لا .. ليس بالضبط .. مثل نبات حامول البرسيم الذى يلتف حول ساق البرسيم فى كتاب أحياء الصف الثانوى . وعرفت أن هذا سيحدث قبل أن أفعل شيئًا أو أفر .. سوف ترانا (برنادت) . لا شك فى هذا .. ألم أقل لك ؟

لقد كانت (برنادت) واقفة الآن فى مدخل الشرفة. اختر ألعن وقت ممكن .. هذا هو الوقت الذى تصل زوجتك فيه دائمًا .

قالت (برنادت) وظهرها للنور فلا أرى أى تعبير على وجهها :

ـ « علاء .. يبدو أنك وجدت صديقًا .. »

أنت تعرف كيف يرسمون بالونات الكلام فى القصص المصورة .. كان الكلام يخرج من فمها باردًا مجمدًا يتساقط منه الثلج . وعرفت أن الكارثة قد حلت .. •

اعتدلت (بوكونا) من وقفتها المائلة ، واتجهت لبرنادت وهى تتأود ... هزت رأسها محيية مع لمسة انتصار واضحة فى صوتها ثم غادرت الشرفة .. هذه المرأة تنتقم . لا شك فى هذا .. كأنها تقول لى : خربت بيتك .. فلتشرب إذن ..

قالت (برنادت) فى نبرات قاسية :

ـ « كنت أتمنى أن تقدم لى أصدقاءك القدامى .. هذه الفتاة لطيفة فعلاً .. »

كنـت أدرك أننى لو ارتبكت فلسـوف أقـدم اعترافًا كاملاً ... لا داعى لتفسير موقفى أو الشرح .. أنا لم أفعل شيئًا . على الأقل لم أفعـل شيئًا بإرادتى .. لا تقـدر أى محكمة فى العـالم على اتهامى ... يجب عندما تقـارف ذنبًا أن تتذكره على الأقـل وأن تستمتع به ..

لذا قلت وأنا ألتهم المزيد من الطعام فى الطبق :

ـ « هى من بلدة اسمها (بيليتول) .. تزعم أننى صديق قديم .. أنا لا أعرفها فى الواقع .. »

ـ « هى إذن تبالغ بعض الشىء فى التودد لأصدقائها القدامى .. وأنت كذلك .. »

قلت فى ثبات :

ـ « برنادت .. هى التى فعلت وأنا لم أفعل .. أنا واقف فى مكانى كالناطور .. لو كنت تريدين جدلاً فأنا أعتذر .. لست رائق المزاج .. »

لم تتكلم وغادرت الشرفة ..

تبًّا لك أيتها الفتاة الغامضة (بوكونا) .. سوف تكون ليلة عاصفة .. والمصيبة هى أننى لم أفعل شيئًا ولا أذكر شيئًا .. كنت سأشعر بشىء من العدل لو كنت وغـدًا ... العقـاب شىء جميل عندما تقترف ذنبًا حقيقيًّا ..

★ ★ ★

ولكن ما معنى هذا ؟

هل يمكن وضع كلام هذه الفتاة فى موضعه المنطقى من أحداث ما بعد الكارثة ؟

لا يوجد تفسير ... أو هناك تفسير واحد لا أجد سواه .. هذه الفتاة تكذب .. وما الغريب فى هذا ؟.. كلهم يكذبون ..

لا تنس هذه الحقيقة ..



9 ـ من أين أبدأ ؟

كان (بورجا) يهّذى بلا توقف ، هناك وقد وضعوا قناع الأكسجين على وجهه ..

لقد توقف النزف كما هو واضح فلا توجد بقع تحت جلده ..

كنت ألبس بذلة الفضاء إياها واضعًا قناعًا على وجهى . ليس المكان أنسب مكان لعزل حمى (لاسا) لكننا نذكر (أنيرو كونتيه) .. لم تكن لديه إمكانيات وكانت الحرب الأهلية تمزق سييراليون ، لكنه استطاع أن ينشئ معزلاً لحمى لاسا ..

وقف (شيلبى) بجوارى يقرأ بيانات الرجل الحيوية ، ثم قال فى رضا :

ـ « إنه يتحسن .. لا شك فى أن الريبافيرين بدأ يجدى .. نحقنه كذلك بالجلوبيولين المناعى .. »

قلت على الفور :

ـ « معنى هذا أنها حمى نزفية .. »

فى حذر قال :

ـ « على المـــرء أن يتحسس موضـــع قدمه .. التشخيص لا يلقى جزافًا ... »

بعناد رحت أكرر :

ـ « سيدى .. الأمـــر واضح .. حمى لاسا ظهرت فى تلك القـــرية .. قتلت المـــرأة ثم أصابت (بودرجا) وربما تصيبنى أيضًا .. القرية تعج بالفئران .. »

لكنه كان مصرًّا على الاحتفاظ بوقاره ومهله .. شعرت أننى أكرهه بجنون . الأمر بالنسبة لى واضح كالشمس لكنه مصر على تجاهله ..

على كل حال (بودرجا (يتحسن .. هذا هو المهم . لا أريد أن أكون عبقريًّا ويموت الرجل .. انصرفت من دون أن أطلب الإذن أو أحيى (شيلبى) . كان فى هذا ، الكثير من الفظاظة ، لكنى بالفعل كنت عاجزًا عن لعب دور الشاب الرقيق المهذب ...





كان شرخ كبير قد تكون فى علاقتى ببرنادت ..

لم أرتكب ذنبًا وهذا أثار غيظى .. لكن تفسير موقفك فى أمر كهذا يزيد الأمور سوءًا .. بالضبط كما قلت إن نفى الجنون يجعلك تبدو مجنونًا ..

كانت صامتة نكدية تمارس أعمال البيت بمنطق الشهداء .. تعمل ولا تتكلم ولا تبدى أى مودة . هكذا تفعل الزوجات المهذبات بنات الناس ، لكنهن بهذا يحطمن أعصابك فعلاً . لو أنها جرت ورائى بالسكين وهى تطلق السباب والبصاق لبدا لى الأمر أظرف وأقرب للرقة ..

هكذا رحت أقضى ساعات بقائى فى البيت مع سارة .. تقرقر ضاحكة وأنا أدغدغ بطن قدمها بلحيتى أو أعضها برفق ... كانت برنادت تنصحنى بعدم اللعب مع (سارة) وأنا جائع . هذا خطر حقيقى .

وفى الصالة كنت أضيئ الأباجورة الصغيرة وأمضى الساعات مع مراجع الجراحة أو المجلات العالميـة . سـوف أصير طبيبًا رائعًا لو استمرت حالة الغضب هذه ..

لكن فى كل صفحة كنت أرى سيناريو الأيام الماضية .. كنت أتذكر (بودرجا) والقرية وحادث السيارة ، وبالطبع تلك المرأة التى قالت إن علاقة ربطت بيننا يومًا ..

هكذا كان الكلام يذوب فأفقد فهمى لما أقرأ ..

أنا فى فترة غامضة من حياتى ..

تجربة قاسية هى فقدان الثقــة فى حواسك . من المؤسف أنه لا يوجد شهود كثيرون .. (بودرجا) فقط .. لو أفاق لسألته عن تلك المرأة .. لكن ماذا أفعل لو قال لى إنه لم ير المرأة ؟.. سوف أجَنّ وقتها .. كل الناس لا يذكرون تلك المرأة .. لم أر أحدًا منسيًّا مثلها ..

علاء يا صاحبى ..

ما المشكلة فى بعض الهلوسة ؟.. لتنس الأمر .. لم تقصر فى شىء ولا توجد أخطاء تدخلك السجن .. لا مشكلة فى بعض التخريف .. ليست نهاية العالم على كل حال ..

سمعت صوت هاتف (برنادت) الجــوال يدق بلا انقطاع .. أغنية لــ (إديت بياف) كالعادة ..



ظهرت من غرفة النوم وهى تضع الهاتف على أذنها ، وبلا كلمة أخرى وضعت الهاتف أمامى وابتعدت .. المكالمة لى إذن . لم أبتع هاتفًا جديدًا وقد استعملت هاتفها عدة مرات . لهذا يطلبها كل من طلبتهم .

رفعت السماعة فسمعت صوت الصحفى الكاميرونى (تشارلز أسالى) .. قال لى :

ـ « هالو .. »

ـ « كيف الحال يا تشارلز ؟ هل نشرت الخبر ؟ »

بعد صمت طال ، قال منتقيًا كلماته :

ـ « قصتك غير دقيقة يا صاح .. هناك امرأة ماتت فى تلك القرية ، لكن شخصت كفشل كبدى متقدم ..»

ـ « تشارلز .. إنهم يكذبون . المرأة مصابة بوباء (لاسا) المخيف .. ممرضنا ومترجمنا فى وحدة سافارى مصاب بنفس الأعراض .. هل هذا كله مزاح ؟ »

ـ « لقد بحثت فى الموضوع جيدًا .. رجال وزارة الصحة ينفون هذا بشدة .. »

– « هم يكذبون .. كم مرة يجب أن أكرر هذا ؟ »

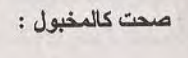
صمت بعض الوقت من جديد .. شعرت كأنه لا يتكلم ولكن يجتاز حقل ألغام .. أى خطوة غير محسوبة سوف تطير رأسه .. يعرف أننى سأنفجر فيه فى أى لحظة ، ومن الواضح أن انفجارى سيخرج له من هاتفه على الجهة الأخرى .. قال :

– « لقد جمعت الكثير من الأخبار .. وذهبت لتلك البلدة التى وجدوك فيها .. أنت كنت فى بلدة اسمها بليتول .. أليس كذلك ؟ »

شعرت بتقلص فى حلقى .. أتشاءم كلما ذكر اسم تلك البلدة ... ورددت متوجسًا :

– « بلى .. ماذا تريد قوله ؟ »

– « الحقيقة هى أنك كنت ثملاً .. أحدثت جلبة غير عادية .. كنت تمشى فى الشارع وتترنح وفى حالة عصبية غير معتادة ، وقد حاول رجلا شرطة أن يهدئا من روعك فضربتهما .. لقد احتجزوك ليلة كاملة ثم أطلقوا سراحك فى الصباح ، فلم يحاولوا أن يورطوك أكثر ، خاصة إنك لم تبد لهم مشاغبًا أو خطرًا .. »



صحت كالمخبول :

ــ « ثمل ؟.. أنا لم أذق قطرة خمر فى حياتى وليست لدى أى فكرة عن مذاقها .. ثم كيف أضرب رجلى شرطة بذراع مكسورة ؟ »

ــ « هذه مشكلتك لا مشكلتى . .. لم يذكرا شيئًا عن كسر فى الذراع .. »

ثم قال فى حذر كعادته منذ بدأت المكالمة ، كأنه لا يعرفنى ولم تكن بيننا صداقة قط :

ــ « الآن هناك كلام وزارة الصحة وأهالى القرية أمام كلامك .. وأنت متهم بالسكر ومررت بحادث أثر على المخ .. هل تعتقد أن حجتك ستكون هى الأقوى فعلاً ؟ »

بالطبع لا .. تمنيت لو أقــول نعــم .. لكن المــرء لا يجادل فى الحق .. لا أملك هذا الطابع ..

قلت له فى تعب :

ــ « تشارلز .. أنا فى حال سيئة .. هل تصدق أننى كنت ثملاً فى تلك البلدة ؟ علاء الذى تعرفه أنت .. هل تتخيل أن تراه ثملاً يترنح فعلاً ؟ »

قال بلهجة قاطعة :

ــ « أنا لم أر كثيرين مصابين بارتجاج فى المخ .. ربما كانوا يتصرفون كالسكارى وما هم بسكارى . والآن أردت فقط من هذه المكالمة أن تغفر لى عدم الكتابة .. »

ــ « بالتأكيد .. أفهم هذا .. »

وأغلقت الخط ..

ظللت كأبله أرمق المحمول فى يدى نحو عشر دقائق .. كأنه تحول إلى ثعبان ..

إذن لا يوجد وباء .. علاقة ليلة واحدة بفتاة اسمها (بوكونا) فى بلدة كاميرونية .. سكر وعربدة واعتداء على شرطيين .. كسر ذراع لكن ليس نتيجة الحادث ...

ماذا يحدث لى حقًّا ؟؟؟ هل دخلت تلك الحفرة العفنة القذرة التى امتلأت بالهلاوس ولن أخرج منها ؟.. كلما تملصت غصت أكثر ..

★ ★ ★

فى الصباح لم أذهب للعمل ..

(برنادت) ذهبت لعيادة الأطفال فى ساعة مبكرة ، وبالطبع أرسلت (سارة) للحضانة لأنها تعرف أننى أحمق فيما يخص

الأطفال . لذا انتقيت ورقـة من الـورق اللاصق الأصفر وكتبت عليها جملة واحدة :

« أنا فى بليتول .. »

ثم غادرت الشقة والوحدة كلها .

كنت أعـرف أنهم سيفتقدوننى ولسـوف تنهـال الصواعق واللعنات ، لكنى بالفعل لم أعد صالحًا للعمل .. لا جدوى منى على الإطلاق قبل أن أعرف ما هذا الذى يدور من حولى .. لن أقدم أى أجوبة ..

هناك قرب وحدة سافارى على أطراف الغـابة موقف لسيارات الأجرة ، وهى عربات لها أبـواب مبطنة بالخشـب .. متداعية مهشمة الصاج ، تجعـل ميكروباصاتنا فى مصر تتيه فخرًا . وقد سألت طويلاً حتى عرفت طريقة التوجه إلى بلدة (بليتول) هذه .. سوف أترجل فى الطريق وأبحث عن مواصلة أخرى ..

جلست فى السيارة الضيقة ، وسـط أقفاص الخضر والدجاج وتلك المرأة التى تتكئ على عنقى بساعدها .. سيكون طريقًا صعبًا جدًا ، لكن هذه المهمة ضرورية ..

وهكذا بدأت الرحلة .. خلاط الأسمنت الذى وضعوا فيه عظامنا يدور بلا رحمة ..

الغبار .. الحر .. الذباب .. العرق .. هل نحن فى الجحيم ؟

على كل حال لن أستغرق ثلاث ساعات .. البلدة قرب مكان الحادث ، والحادث وقع ونحن أقرب لوحدة سافارى .. إذن لن يطول الأمر كثيرًا ..

بعد ساعة ونصف فعلاً أوقف السائق السيارة للحظة ، وصاح بالفرنسية أن بوسعى الترجل ..

بصعوبة شققت طريقى إلى الباب وسط الدجاج . ذراع مكسورة تجعل الأمور أعقد .. أريد بعض الهواء ...

وقفت فى الخارج أعب الهواء عبًّا بينما غبار السيارة التى رحلت يوشك على خنقى .. ثم وجدت موتوسيكل صغيرًا له عربة جانبية ، يبدو أنه وسيلة مواصلات معقولة هنا . هكذا كان أمامى نصف ساعة حتى أبلغ (بليتول) .

من أين أبدأ ؟



ليس عندى أى خيط سوى عبارة قالتها بوكونا : « التقينا فى ذلك البار فى الشارع الرئيس » . لابد أن هناك شارعًا رئيسًا ولابد أن فيه بارات .. هل سيذكرنى رواد البار ؟.. ربما أقصد المخفر لأسألهم عن مبيتى لديهم وعن اتهامى بالسكر ..

هكذا أوصلتنى الدراجة البخارية إلى الشارع الرئيس ..

ككل المدن الأفريقية العادية كانت البلدة تتكون كلها من مبان ذات طابق واحد ، ولون البنايات السائد هو الأبيض .. هناك سوق نشطة مزدحمة ، وهناك شارعان رئيسان .. بعض الأشجار المزروعة على الجانبين وقليل من السيارات ..

لكـن ما أثـار اهتمامى هـو ذلـك الموكـب .. موكـب من الخيـول المطهمـة فاخرة المنظر تمشى فى خطوات موقعة ، تذكرك بالخيـل الراقصـة فى الأفـراح .. فوق صهوات الخيول كـان هناك رجـال يلبسـون ثيابًا مزركشـة فاقعـة الألـوان ويلوحـون بالعصى . وأدركت مـن ملامح وجوههم أنهـم من الفولانى .

كانت هناك موسيقا مميزة .. وكان هناك صف من فتيات حسناوات يرقصن أمام طابور الخيل ، بينما وقف المارة على الجانبين يراقبون المشهد ويصفقون ، ثم رأيت عربة (نصف نقل) تتحرك وراء الموكب وقد وقف فيها مصوران يبدو من ملامحهما أنهما غربيان . الواقع أن هناك الكثيرين من الأجانب هنا ، وكلهم منهمكون فى التقاط الصور . هذه مشاهد مبهرة قلما تتكرر ...

هذا مهرجان .. لا شك فى هذا ..

ثم تذكرت .. مهرجان فنون الفولانى الذى يعم إقليم (أداماوا) . هذا جزء منه . لقد مر أسبوعان منذ كنا نتأهب له وهو ذا قد بدأ ..

كنت أتوقع أن تكون أيامًا باسمة لكنها تحمل لى الآن ذكريات قاسية .. ألعن حيرة فى حياتى ..

رحت أشق طريقى وسط زحام الناس بحثًا عن ذلك البار فى الشارع الرئيس ..

كنت أنظر للأرض حتى لا تتعثر قدمى .. فلما رفعت وجهى فجأة رأيت رجلاً أسود ضخم الجثة يلبس قميصًا مشجرًا وله سيماء البلطجية .. كان ينظر لى نظرة نارية حقيقية ..

قال ضاغطًا على كلماته بنبرة هامسة ... ذلك الهمس المنذر بالويل :

ـ « لقد عدت أيها الحقير .. أنذرتك ألا تعود ثانية ! »

10 ـ هـل قابلت بوكونا ؟

من هذا الرجل ؟..

هل هو بطل جديد من أبطال تلك الأيام السوداء فى (بيلتول) ؟

هذا واضح ..

كان هناك شاعر يقف فوق منصة ويلقى شعرًا بلغة لا أفهمها .. لا شك أنها لغة الفولانى ، وكان القوم يهللون كلما ألقى مقطعًا من الشعر ، ثم رأيته يحمل رمحًا ودرعًا ويدور فى مكانه راقصًا مع مقاطع الشـعر ، كأنه يواجـه خصمًا لا نراه .. حماسة القوم تلتهب أكثر ..

أنظر لهذا البلطجى الذى يسد الطرق أمامى .. من هو وماذا يريد ؟

كان يتكلم فرنسية فظيعة .. فرنسية بلطجية لو كان شىء من هذا واردًا . التفت لشخص آخر يقف جواره ويبدو مثل الخرتيت :

ــ « أندريه ... لقد عاد هذا الـ ... »



قلت بصوت مبحـوح وأنا أحـاول أن يرتفع صـوتى فوق الضجيج :

ـ « من أنت يا سيد ؟.. أنا لا أعرفك .. »

ـ « من الصعب أن تنسانا .. وإلا فمن هشم هذه الذراع ؟ ومن أخذ ساعتك ؟ »

وقال المدعو (أندريه) الواقف بقربه :

ـ « يبدو أن الوقت حان لعلقة أخرى .. سوف نجره وراء هذا الجدار وننهى الدرس يا لامسون .. »

لم أنتظر أكثر ..

أعتقد أن أنسب الأماكن لارتكاب جريمة شنيعة هى الأماكن المزدحمة .. كنت فى الماضى أعتقد أن الأماكن المزدحمة آمنة ، ثم عرفت بعد زمن طويل أن بوسعك عمل أى شىء فى الزحام ولن يجـد الناس الفاعل أبـدًا .. لو جرنى هـذان خلف جدار وقتلانى ، أو حتى وقف أحدهما والآخر خلفى ، وأولج أحدهما سكينًا فى قلبى ، فلن يعرف الناس ولن يلاحظوا إلا بعد ما أتهاوى للأرض .

هكذا رحت أركض وقلبى يتواثب ..

أحاول أن أذوب وسط الزحام ..

أعبر الموكب بين الخيـول الراقصة .. أركض على الإفريز المقابل .. من الصعب جـدًا أن تتوازن بذراع مكسـورة لكنى سأفعلها ..

المشكلة الوحيدة فعلاً هى أننى راغب فى معرفة ما يعرفه هذان . ليتهما يتصرفان بشكل متحضر ويحكيان لى كل شىء ..

على كل حال أعرف يقينًا أنهما هما من كسر ذراعى .. بالفعل لم تكسر فى الحادث .. ومن الواضح أنهما قاما بالسطو على ما معى .. ولا شك كذلك أنهما هددانى بكسر عنقى لو عدت للبلدة . كلامهما يوحى بهذا بشدة ....

ولكن متى وكيف ؟



أدركت مباشرة من المنظر ومن الواجهة أن هذا بار ..

هناك ملصق كبير لزجاجة بيرة ، مع كلمة Bar بخط كبير .. اندفعت إلى الداخل وأنا ألهث . المكان مظلم رطب .. هذا طبيعى فى منتصف النهار وهناك مهرجان كبير فى البلدة . من يأت هنا لشرب الخمر فى هذا الوقت يصلح لأن توضع صورته فى القاموس جوار كلمة (سكير) .

كان هناك ساق نحيل له عينان واسعتان خائفتان فى وجهه الأسود ، وقد جلس إلى إحدى المناضد المتناثرة ـ ومعظمها مقلوب ـ يتناول وجبة صغيرة مع فتاة ليل بشعة المظهر .. فتاة ليل فى منتصف النهار لا مكان لها طبعًا .. لم تضع أصباغها ولم ترتد(يونيفورم) العمل . فقط بدت كأنثى مرهقة منتفخة الوجه منكوشة الشعر تلتهم الطعام فى جشع . ثم رفعت قدمها الغليظة لتضعها على المقعد مثل معلمى قهوة (بعرة) ..

أشعل الساقى لفافة تبغ ، ونظر لى فى حيرة فقلت :

ـ « مياه غازية .. ثلج .. »

هذا الساقى لا يعرفنى كما هو واضح . لم أر نفسى فى عينيه . لا داعى للسؤال .

وجلست إلى منضدة صغيرة عليها شرشف متسخ .. ورحت ألهث .. أعتقد أننى فررت من مطاردى .

نهض الرجل ومسح يديه فى منشفة على خصره ، واتجه إلى ثلاجة فى ركن المكان فانتقى زجاجة ، ثم عاد ليصب محتواها فى كأس ملأها بالثلج ..

عيناه لا تفارقان وجهى كلما أبعدت عينى .. يسرق النظرات بلا توقف كأنه نشال . كان ذهنه مليئًا بالأسئلة كما هو واضح .. فضول شديد .. عندنا فى مصر يتصرف النادل فى القهوة بشكل مماثل ، وهو يرى زبونًا لم يعتد رؤية وجهه .. فيتساءل : هل هو من الضرائب ؟.. هل هو حكومة ؟.. هل يبحث عن الحشيش ؟

هنا سمعت فتاة الليل تسألنى فى ملل وبغلظة واضحة :

ـ « هل قابلت بوكونا ؟ »

انتفضت لسماع الاسم كأننى مشيت على كابل كهربى .. هل تعرف الاسم ؟

نظرت لها فى حيرة فقالت :



ــ « بوكونا .. أنت تعرف .. لقد غادرت البار معك ويبدو أنك ذهبت لشقتها .. لكن ذراعك كانت سليمة .. ماذا أصابك ؟... لعل محبًا غيورًا لها قد قرر أن ينتقم منك !.. خذ الحذر يا حبيبى !... ليس الغرام سهلاً .. هى هى هى .. »

وانفجـرت تضحك فى ميـوعة ، فبدت لى مثيرة للاشمئزاز فعلاً .. مبتذلة قبيحة رخيصة ..

لكنها مهمة جدًا برغم هـذا .. هى تعرف كل شىء .. تعرف نصف القصة على الأقل .. ليتها تتكلم . ليتها تخبرنى بما تعرف ..

نهضت لأجلس إلى منضدتها .. وقد سرها هذا كما هو واضح .. قلت فى حذر :

ــ « متى رأيتنى ؟ .. هل تعرفين بوكونا ؟ »

لم ترد وراحت تنظر لى فى حـدة .. لقـد شعرت بالريبة ، فبحثت فى جيبى عن ورقتى عملة ووضعتهما أمامها على طريقة الأفلام .. وقلت فى حنكة بلهجة من خبر العالم :

ــ « أريد الوصول إلى بوكونا .. »

لكنها لم تمد يدها للمال .. ظلت ترمقنى فى كراهية، ، ثم قالت بلهجة تهديد :

ــ « خذ مالك وارحــل .. أنا أكــره هذا الطــراز من الزبائن اللحوحين . اشرب مياهك الغازية ثم اذهب للجحيم .. »

كان كلامها قاطعًا ، فأدركت أن الخطوة التالية هى الإهانة وربما الضرب .. ثم من أدرانى أن هذين الدبين اللذين كادا يظفران بى فى الشارع لا يعملان هنا ؟. ربما كان الرحيل أفضل فعلاً ..

شربت المياه الغازية بسرعة حتى كادت الفقاقيع تخرج من أنفى ...

من كلام هذه المرأة يمكن استنتاج عدة أشياء :

ــ أنا كنت هنا فعلاً وقابلت تلك البوكونا وبالفعل خرجت معها . لا أعرف أى خبال أصابنى لكن هذا لا ينفى أن ما حدث حدث ...

ــ بوكونا لم تكذب .

ــ بالفعل لم تكسر ذراعى فى الحادث . كسرها أوغاد المدينة ..

ـ بوكونا فتاة حانات .. فتاة ليل .. ليست العاشقة الرقيقة كما حاولت أن تبدو فى تلك الليلة وذلك الحفل .. ومن أخبرها بذلك الحفل فى بيت المهندس وكيف عرفت المهندس أصلاً ؟

كانت الأسئلة تحتشد فى ذهنى ...

وكانت هناك إجابة واحدة تتكرر بينما أنا أمسح الفقاقيع التى خرجت من أنفى بمنديل ورقى .. وبينما الفتاة والساقى ينظران لى بفضول ..

إنهم يكذبون !

11 ـ أنا أتهم ..

الشوارع ملتهبة بالمهرجان ..

ثمة موكب للفتيات الجميلات فى الشارع .. فتيات من الفولانى كما هو واضح ، فلا شك أنهم بصدد اختيار ملكة جمال الفولانى كما قالوا لنا من قبل ..

لا شك أن إقليم (أداماوا) كله يعج بالحركة مثل هذا الشارع ..

فى كل لحظة أنظر وراء كتفى لأننى أتوقع أن أرى الخرتيتين يقفان خلفى ليكملا تحطيم عظامى .. إن من يبدأ بتحطيم الذراع لا يتوقف ..

أريد مكانًا آمنًا أربط فيه خيط أفكارى .

هناك كافتيريا صغيرة تطل على الشارع ، وأعتقد أنها بعيدة عن العيون ولا تجذب الأنظار . اتجهت إلى هناك وجلست فى الظل وطلبت كوبًا من عصير الليمون .. لم يكن هناك من يهتم بى ، وحتى النادل بدا راغبًا فى التخلص منى بسرعة ليشاهد المهرجان .. انته سريعًا فلا وقت لهذا الهراء ..

المهرجان ...

دعاية المهرجان . تنشيط السياحة .. اقتصاد الإقليم يعتمد بالكامل على هذه الأيام . زينات .. قصائد .. أغان .. استعراضات بالخيول ...

ثم يأتى طبيب أحمق .. هذا الطبيب يزور قرية فى الإقليم ويتكلم عن حالة مريبة .. حالة حمى نزفية يعتقد أنها حمى (لاسا) ..

تصور ما سيحدث .. تصور الذعر الذى سيعم الإقليم .. سوف يصل رجال من الصحة العالمية ، ويبدأ المسح والعزل .. وسوف يتكلم العالم كله عن الوباء الذى اجتاح الكاميرون بعد ما ظلت الحالات نادرة فيها نوعًا .. حمى (لاسا) تجتاح معظم غرب أفريقيا لكن الكاميرون ظل بمنأى عنها ..

معنى هـذا ببساطة ، القضـاء على مهرجـان الفـولانى فى المهد ... معناه تدمير الاقتصاد .. معناه أن السياحة ستنهار ، وبدلاً من وجـوه نساء الفولانى الجميلة ، تملأ وجـوه رجال الصحة العالمية الكئيبة البلاد .. بدلاً من ثياب الفولانى المزركشة تجد ثياب رواد الفضاء المخيفة إياها ..

لقد اتصل الطبيب الأحمق بمسئول مهم فى وزارة الصحة ، وهذا المسئول أنكر كل شىء .. ارتباك شديد لأن الطبيب ليس تحت سلطة وزارة الصحة ، بل هو يتبع وحدة دولية اسمها سافارى . هنا تحدث المعجزة عندما تنقلب السيارة بالطبيب أثناء العودة ..

هناك فترة تلاشت من ذاكرة الطبيب تمامًا .. يتحرك مسئول وزارة الصحة بسرعة .. سوف نملأ هذه الفترة . كلام عن اعتقال الطبيب متلبسًا بالسكر .. فتاة رخيصة من بائعات الهوى تزعم أنه أقام علاقة معها .. بلطجيان يزعمان أنهما ضرباه علقة مبرحة .. أخبار ملفقة تبلغ أذن صحفى كاميرونى يحقق فى القصة ..

النتيجة هى الارتباك .. النتيجة هى أن الطبيب لن يعرف أبدًا إن كان رأى ما رآه أم لا.. أصدقاؤه لن يعرفوا أبدًا .. الصحفى لن يصدق حرفًا .. قصة الوباء تبدو سخيفة جدًّا وواهية .. قصة جديرة بسكير بلطجى ...

أما الحالة فيتم دفنها بسرعة .. التقرير سيقول إنها حالة فشل كبدى لا أكثر ..

والآن يبـدأ المهرجان .. ولنأمل أن تمر الأمـور على خير وألا يكون هذا هو الوباء فعلاً . لكن هناك تفصيلة صغيرة نسيها الجميع وهى ممرض اسمه (بودرجا) أصيب بالعدوى . هذا الممرض فى وحدة سافارى الآن .. وهو الدليل الحى على أن وباء (لاسا) حدث فعلاً .

للأسف لم يمت (بودرجا) بسبب براعة أستاذ طب المناطق الحارة الأمريكى (شيلبى) ، برغم أن (شيلبى) نفسه لم يصدق أن هذه حمى (لاسا) ...

سوف تنجح الوزارة فى إخفاء الحقيقة . لا تنس أن العينات تُحلل فى مختبراتها فى (ياوندى) ..

هكذا سوف يمر المهرجان على خير ، ولن يفسد بسبب طبيب فضولى مزعج ..

هكذا رحت أشرب الليمون ، وأنا افكر فى الأمر. فى كل لحظة أجد الأمور منطقية أكثر ..

لقد تجشم هـؤلاء القـوم الكثيـر من العناء كى يقنعونى ويقنعوا من حولى أننى فى حال غير طبيعية بعد الحادث ، لكنها مغامرة خطيرة فعلاً . لو أن الوباء تفشى فلن يستطيعوا الاعتذار

أو إيجاد المبررات أبدًا .. هذا وباء يبدأ فى ألعن لحظة ممكنة .. لحظة مهرجان يعج بالزحام والحركة مع الكثيرين من الغربيين .. لو ظهرت حمى (لاسا) فالأمر شبيه بنهاية العالم ..

لكن ....

كيف أثبت كلامى ؟.. أنا ذرة غبار بالنسبة لدولة كاملة . لا يوجد ما أعمله سوى الصمت .. كفانى ما حدث لى : صرت سكيرًا بلطجيًا يختلط ببنات الليـــل حسب كلامهم .. إلى أى حـــد يمكن أن يبلغوا فى تشويهى بعد ذلك ؟

المشكلة هى أننى عاجز تمامًا عن إثبات كلامى ..

★ ★ ★

عندما عدت إلى سافارى كان المساء قد اقترب ..

كنت منهكًا ممزق الأوصال أترنح . المشوار كان قاسيًا فعلاً واليوم كان طويلاً . من العسير أن يستحم المرء بذراع مكسورة لكنى صرت خبيرًا فى ذلك ، لذا كان أول ما فعلته عندما دخلت البيت أن أخذت دوشًا ، وتأكدت من أننى نقعت ثيابى التى امتلأت بالبراغيث ، ثم خرجت ..

كانت (برنادت) جالسة أمام التلفزيون ، صموتًا كعادتها مؤخرًا.. لكنها قالت بلهجة باردة :

ــ « طعامك فى المطبخ .. قطعتا بفتيك ومكرونة .. »

لم أرد .. فأضافت بنفس اللهجة :

ــ « أرجو أن تكون قد قابلت أصدقاءك القدامى فى بليتول .. »

لهجة تلميح واضحة .. اتهام لا شك فيه .. نعم قلت إننى ذاهب لبليتــول ، لكن من قال لهـا إن بوكونا لها علاقة بتلك البلدة ؟.. تبًا لى من أحمق !.. فى تلك الليلة فى الشرفة قلت لها : ــ « هى من بلدة اسمها بيليتول .. تزعم أننى صديق قديم .. أنا لا أعرفها فى الواقع .. » تذكرت هذا الآن .. ما كان يجب أن أذكر الاسم فى مذكرتى التى تركتها لها اليوم . أنا أحمق . كل يوم يؤكد لى ذلك ..

لست جوعان على كل حال .. سوف أبدل ثيابى وأخرج .. إلى أين ؟.. لأرى (بارتلييه) طبعًا ..

د. (بارتلييه) .. يا سيدى ..

أنا أعرف يقينًا أن هناك مؤامرة تدور فى الظلام ، وغرض هذه المؤامرة هو جعلى أشك فى قواى العقلية .. جاهدين يحاولون أن يدفنوا قصتى حتى ينجح المهرجان بلا حمى (لاسا) . لو كانوا أكثر شرًّا لأرسلوا قاتلاً مأجورًا يفتك بى ..

سيدى .. يمكن القول إن (بودرجا) مصاب بحمى (لاسا) .. لا تصدق أى تقارير تأتى من ياوندى .. لدينا فى مصر فيلم عربى شهير اسمه الزوجة الثانية . اشتهر بعبارة العمدة : « الدفاتر دفاترنا .. » هذه دفاترهم ويمكنهم أن يغيروا فيها كما يريدون ..

أعتقد أنه مصاب بحمى (لاسا) وأنه بدأ يشفى فعلاً ، وهذا لأنه يتعاطى عقار الريبافيرين الفعال . هذا حظ حسن .. حظ حرم منه بائسون مثل (أنيرو كونتيه) نفسه ...

لقد كانت لعبة قاسية .. نجحوا فى تحويل الحياة إلى مجموعة من علامات الاستفهام ..

قال (بارتلييه) بعد سماع مرافعتى الطويلة :

ـ « علاء .. ألا تجد فى هذا الكثير من العناء ؟.. لا يوجد أحد يقضى الوقت فى كل هذه التلفيقات إلا فى قصص الجاسوسية فى الحرب العالمية الثانية . كان بوسعهم منذ البداية أن يصروا

على أنك أحمق وعلى أن هذه ليست حمى (لاسا) .. لم يكن هذا ليكلفهم أى جهد أو يزيد أى أعباء عليهم .. فلماذا يلجئون إلى فتاة ليل محترفة وقصص مزيفة و ... و..... ؟ بهذا المنطق يمكن أن يكونوا هم من دبر انقلاب السيارة كذلك ! »

ثم إنه فكر قليلاً ــ بينما أنا عاجز عن الرد بشكل مقنع ــ وقال :

ــ « ولماذا لم ينتشر الوباء بعد ؟.. كانت الطرقات ستمتلئ بالجثث النازفة .. واضح أن هذا لم يحدث .. »

واهتز لغده الشحيم وأصدر صوتًا كالخرير من أنفه هو ضحكة مكتومة ، وأردف :

ــ « صدقنى إن (البارانويا) قريبة جدًا .. ليست بعيدة كما تتصور.. تشعر أن العالم كله يتربص بك وينسج لك الفخاخ .. »

ــ « ولكن ... »

قال فى صبر :

ــ « بنى .. أنت قمت بما هو مطلوب منك .. لست حاكم العالم ولا يطالبك أحــد بشىء . لقــد أطلقت صفارة الإنذار وصارت المسئولية مسئوليتنا .. أرجو أن تنسى هذه القصة تمامًا .. »

اتجهت للباب ، وهنا استوقفنى وقال وهو يتنحنح فى كياسة :

– « بالمناسبة .. وجدوا هذه الصورة فى جيبك عندما وجدوك فى بيليتول .. الممرضة التى تعنى بك احتفظت بها لديها ثم جلبتها لى .. »

كان يمسك بصورة فوتوغرافية صغيرة فى يده .. ناولها لى .. ألقيت نظرة مدققة فرأيت أنها صورة بوكونا ...

وتحت الصورة كتبت جملة واحدة بخط ردىء : إلى علاء ...



12 ـ الغريب ..

هذا الجزء ليس فى مذكرات د. علاء :

هناك كان بين الأشجار .. فى الظلام الدامس ..

كل عظمة فى جسده تصيح أنها قد تهشمت . رأسه يترجرج كطبق من الجيلى ..

ثمة أغنية تتردد فى ذهنه بلا توقف :

أبو لاسة حرير ابن الحتة .. يفوت من تحت الساعة ستة

عاشق وماشى بيتقمع .. وقلبى ف غرامه مولع

ما هذه الأغنية ؟ أين سمعها ؟.. ماذا ذكره بها أصلاً ؟

هناك صعوبة حقيقية فى أن يعرف من هو .. لا يذكر أى شىء .. هناك هاوية مظلمة لا قرار لها .. يقف فوقها ويتماسك .. يفتح ساقيه حتى لا تبتلعه الهاوية ..

سوف أموت هنا ..

قالها لنفسه .. وكان يعرف أن هناك حادث سيارة وأنه طار ليستقر بين الأشجار ، لكنه لا يذكر عن نفسه أى شىء ..

سوف أموت هنا ..

يسمع صوت حشرات الليل ووحوشه من بعيد .. يحاول أن ينهض فيتعثر فى وهدة غطتها الأعشاب ، وينهض فيقف فى وهدة أعمق . نفس ما يحدث فى الكوابيس .

ينهض من جديد ويستند إلى الأشجار ..

يا لهذا الصداع . رأسه كجرس تم دقه بعنف ..

أبو لاسة حرير ابن الحتة .. يفوت من تحت الساعة ستة

حاول أن يمشى ثم سقط من جديد ، وأدرك أن محاولة المشى هنا والآن انتحار .. يجب أن يكون هناك بعض النور .

هكذا تهاوى على الأرض ونام حيث هو . صحا مرتين وتقيأ بقوة ثم واصل النوم .

قرب الفجر سمع هدير مروحية تمر من فوق .. نظر لأعلى فرأى طائرة هليوكوبتر تحوم حول المكان .. صرخ بأعلى صوته :

ـ « أنا هنا!!!!!!!!!!!!!!!!!! ! »

لكن لم يسمعه أحد . هدير المحركات عال جدًّا .. لقد اخترعوا هذه الطائرات خصيصًا كى يحجبوا صوته ..

ابتعدت الطائرة ، فقرر أن عليه أن يعتمد على نفسه ويمشى ..

مضى يترنح بين الأشجار لفترة طويلة ، وفجأة خيل إليه أنه يرى طريقًا .. بل هو طريق فعلاً .. طريق بين الغابات .. جرى ليقف على جانب الطريق ، وهنا مرت سيارة نصف نقل عتيقة عليها أجولة أسمنت ، يقودها رجل بدين يلبس فانلة داخلية وسروالاً قصيرًا : الزى الرسمى هنا ..

ـ « هل وقع لك حادث أيها الأجنبى ؟ »

ـ « نعم .. »

ـ « من أين أنت ؟ »

لا يعرف كيف عرف أنه مصرى .. لابد أن هناك شيئًا وراثيًا فى الخلايا يجعلها تعرف جنسيتها .. هكذا دعاه الرجل ليركب جواره .. وانطلقت السيارة تترجرج وتهتز ..

ـ « سيجارة أيها المصرى ؟ »

تنــاول منــه لفافة التبغ بيــد ترتجــف ووضعها فى فمه .. كح كح !... مستحيل !... واضح أنه لم يجربها من قبل .. ضحك الرجل كثيرًا ثم أخذ منه اللفافة ودسها بين شفتيه ، وقال :

ــ « أنا ذاهب إلى بيلتول .. هل أنت ذاهب هناك ؟ »

لم يرد .. فأضاف الرجل :

ــ « أو لعلك لا تعرفها أصلاً .. هل سوف تحضر المهرجان ؟.. هذه أيام مهمة فعلاً .. العالم كله يتطلع إلى (أنجاوانديرى) .. هل أنت سائح ؟ »

من جديد ساد الصمت ، فقال السائق :

ــ « أنت لا تبدو على ما يرام يا صاحبى .. هل تريد أن أقلك للمستشفى ؟ »

قال المصرى فى تردد :

ــ « لا .. لا .. سوف أجد حلاً .. »

هكذا انطلق السائق بالسيارة وقد بدا أنه لن يضيف كلمة أخرى . استغرقت الرحلة نحــو ســاعة تقريبًا .. وفى النهاية توقف السائق فى الشارع الرئيس ، وقال للفتى :

ـ « هنا يا صاح .. هذا هو الشارع الرئيس . لا أعرف ما هى خططك القادمة ، لكن أرجوك ألا تسقط ميتًا .. »

هز رأسه شاكرًا الرجل ، ومد يده فى جيبه بحثًا عن مال ، لكن السيارة انطلقت قبل أن يقول حرفًا ..

مشى بلا هدف فى الشارع .. لم تكن فى ذهنه أية خطة ، لكن يكفيه أنه فى مكان فيه قوم وأجهزة هاتف وسيارات .. لا توجد غابات ولا أشجار ولا وحوش هنا .

القوم يرمقونه فى دهشة .. يبــدو أنه يبدو كوحش برى تائه غارق فى عالمه الخاص .. ثيابه متسخة وشعره مشعث .. .. »

على كل حال كان أول ما قام به هو أن ابتاع رغيفًا من بائعة تجلس إلى جانب الطريق .. ابتاع بعض الطماطم ثم بعض السانجاه . راح يأكل هذا كله فى نهم فهو لم يذق الزاد منذ تناول الغداء أمس .. لحسن الحظ ان معه بعض الـ Xaf ـ عملة الكاميرون ـ فى جيبه ..

كان بحاجة إلى شىء يشربه .. شىء يبلل به حلقه الجاف ..

كان هناك بار قريب .. هناك ملصق كبير لزجاجة بيرة ، مع كلمة Bar بخط كبيـــر .. لم يكن يشرب الخمـــر أو يعــرف ذلك عن نفسه ، لكنـــه شعر بوجــود عالم الماء الساحر بالداخل .. شيء كغريزة الجمـــال التى تشعرها بوجـــود واحـــة قريبة .. عصائر ..!... مياه باردة فى أكواب تكاثف عليها البخار !

هرع إلى ذلك المكان ، وكان الوقت يدنو من العصر ..

المكان شبه فارغ إلا من زبون أو اثنتين ..

هناك منضدة تجلس إليها فتاتان .. واحدة بارعة الحسن .. أرق شيء رآه منذ .. منذ أبعد زمن يستطيع تذكره !... الأخرى فتاة ليل منكوشة الشعر كالغيلان تريح قدميها الغليظتين على المقعد كالبلطجية .

جلس وطلب بعض العصير من ساق ضخم منهك من كثرة العمل ..

شاردًا راح يرمق الكوب المثلج وهو يحاول أن يجد ثقبًا . ثقبًا ينفذ منه إلى ماضيه .. ما أفظع ألا يكون للمرء ماض .. الأسوأ هو أنه لا يعرف أن هذا مؤقت ..

لا يعرف أنه فعل بالضبط كل ما عساه أن يجذب له تلك الفتاة الحسناء ..

بدا شاردًا .. بدا حالمًا .. بدا ذائبًا فى عالم آخر .. بدا كطفل بلا عون بعيدًا عن أبويه .. بدا بحاجة لها ...

لم تر ثيابه المتسخة الممزقة .. لكن تلك النظرة فى عينيه .. تلك الحيرة .. جعلها هــذا كله تصمم على أن تعــرفه أكثر .. صممت أن تلعب دور الساحرة .

نهضت فى تؤدة ومشت إلى حيث جلس ، وجذبت مقعدًا وجلست .. ثم قالت له :

ـ « اسمى بوكونا .. وأنت ؟ »

قال فى صدق :

ـ « لا أعرف .. »

13 ـ الغريب (2) ..

نواصل هذا الجزء الذى ليس فى مذكرات د. علاء :

كانت تلك العجوز الكاميرونية جالسة على مقعد تلتهم بعض البذور ، وترمق الضيف القادم فى شك .. لكن (بوكونا) لم تبال بها كثيرًا ، وفتحت الباب ليدخل ضيفها الشاب فاقد الذاكرة ..

لماذا جاء ؟.. هو نفسه لا يعرف السبب .. كان هشًا كطفل يمكن أن تقتاده حيثما أردت ..

كانت شقة ضيقة تزدان جدرانها بلوحات جميلة من الفن الأفريقى ، وبالنسبة لهـذا المكان مـن العالم كانت تعتبر شقة فاخرة . نظر هو للعجوز بارتباك فقالت :

ـ « هـذه هى ماما مارثا .. إنها صـماء .. اعتبرها غيـر موجودة .. »

هل هى أمها أم مربية أم خادمة أم صاحبة الشقة ؟.. لا يعرف فعلاً ، ولم يشأ أن يسأل ..

ثم قامت بوكونا بتشغيل جهاز كاسيت صغير فدوت موسيقا راقصة .. أغنية سواحيلية ما . وقامت بتخفيض الإضاءة قليلاً ..

★ ★ ★

هنا يجب أن نتمهل للحظة قبل أن تسىء الفهم ..

الغريب الذى أصيب فى الحادث لم يكن يعرف من هو .. لم يكن يعرف موقفه الأخلاقى عامة ، لكن يبدو أن تربيتنا تستقر فى جزء هناك من عقلنا الباطن ، ولعلها تستقر فى جزء من خلايانا .. فى كروموسوماتنا .. هكذا لم يعرف عن نفسه سوى أنه يمقت الابتذال ..

لهـذا لن أقتطع شـيئًا من الأحـداث أو أثب فوقها فى هـذا الجزء .. لم يحدث شىء من أى نوع .

لم يمس الفتاة قط .. وهذا أثار غيظها فعلاً .. شعور بالإهانة لا بأس به غمرها ، واعتبرت الأمر صراع حياتها الأعظم خاصة أنها بدأت تحب هذا الفتى فعلاً .

ظلت تحاول تملقه كثيرًا . ثم أدركت أنه لن يستجيب ...

هذه المرة قررت أن تجرب معه أساليب الأفلام العربية القديمة .. أفلام (توجو مزراحى) . هكذا نهضت . أعدت له بعض عصير البرتقال ، لكنها مزجت البرتقــال بكمية معقولة من (الفودكا) الرخيصة ..

شرب الفتى البرتقال وقال شيئًا عن كونه شديد المرارة غريب المذاق .. البرتقال هنا له مذاق مر أقرب للجريب فروت على كل حال ....

هنا صبت له المزيد ..

كانت تحكى له عن نفسها بلا توقف .. عن معارفها وحياتها فى بليتول . قالت له إنها كانت على علاقة بمهندس ثرى ، ثم سئمها وتملص منها ..

قالت له إنها تحلم بالاستقرار .. بالبيت ..

تتصور نفسها قابعــة كالقــط جــوار قــدم زوجها الجالس على مقعد وثير يقــرأ الجريدة .. ثم تغفــو حيــث هى فيحملها بين ذراعيه القويتين لتنــام .. ســوف تنجــب لزوجهــا ســتة أطفــال ، وســوف تعــد له الطعــام والكاسافا .. ســوف تكون أمًّا بارة ..

تصب المزيد من البرتقال الملغوم ..

لابد أنه قال لها كلمات لطيفة .. لابد أنه قال لها أنه سيحبها للأبد .. لم يكن يعرف معنى ما يقول ..

لا يعرف كيف ولا متى نام .. نام من الإرهاق ولم يكن يعرف أن هذا هو السُكر كذلك .. الكحول فى دمه قد بلغ مستوى مخيفًا ، لكنه ظل يحسب أن هذا بفعل التعب .. لقد كان يومه عصيبًا طويلاً ....

ساعات .. ساعات ...

الأرض ترتفع وتهبط .. تعلو وتهوى ..

أبو لاسة حرير ابن الحتة .. يفوت من تحت الساعة ستة

كان يتذكر شيئًا . امرأة على الأرض تنزف دمًا وزوجها يركع جوارها وقد بدت عليه الحيرة .. سيارة تنقلب .. مكالمة هاتفية فى سيارة مسرعة فى الظلام ..

لا يستطيع أن يستجمع أفكاره ..

عندما فتح عينيه ونور النهار يتسلل من النافذة ، أدرك أن (بوكونا) غافية تحيط عنقه بيدها .. غافية تحلم .. وأدرك كذلك أنه نام نومًا عميقًا ..

ماذا دهاه ؟

هل هو مخمور ؟.. لماذا تنثنى قدماه من تحته بهذه الطريقة ؟.. لماذا لا تحتفظ الموجودات بثباتها ؟.. أدر رأسك وسوف تجد العالم كله يهتز كجدول أسقط فيه طفل حجرًا ..

بالفعل هو مخمور .. لقد دست له شيئًا فى عصير البرتقال ، وحسبت هذا سيجعله ألين عريكة ، ولم تعرف أنه لم يذق الخمر فى حياته ، وأنها بهذا جعلته يغيب عن الوعى تمامًا حيث كانت تتوقع أن يبقى متيقظًا ... لحسن الحظ أنه نام قبل أن يقترف ذنبًا ..

اتجه إلى الحمام .. حمام ضيق قـذر .. أفـرغ معدته فى المرحاض ، ثم غسل وجهه بالماء البارد ..

اتجه لباب الشقة ، فوجد تلك العجوز الكاميرونية ما زالت جالسة هناك ترمقه كالبومة .. ماما مارثا . اعتبرها غير موجودة .. هذا ما سيفعله فعلاً .. فتح الباب وغادر الشقة ... لم

يعرف أنه يحمل ذكرى من الفتاة فى جيب قميصه .. صورتها الموقعة .. أرادت أن تكون معه للأبد ...

★ ★ ★

الشمس !

تبًّا !..

يشبه الأمر ما يشعر به مصاص الدماء الذى يغادر تابوته فى النهار .. لا تقدر على فتح عينك .. صداع قاتل .. شعور بأنك عار وبلا سند من أى نوع .. الأجورافوبيا .. هذه هى الكلمة التى تصف الموقف .

كان يمشى فى الشارع وهو يترنح .. يصطدم بالجدران ثم يرتد ليصدم الأشجار .. ثم يصدم المارة الأفارقة .. الكل راحوا يراقبونه فى دهشة ..

هذا هو بالضبط ما يطلق عليه الغربيون Under the influence.
إن الخمر شىء معتاد هنا ولا ينظرون لها نظرتنا ــ معشر العرب ، لكنهم برغم هذا لم يعتادوا رؤية سكير فى ساعة مبكرة من الصباح كهذه ..

توقفت أمامه سيارة نصف نقل تنقل بعض الدواجن . كان هذا موقفًا طبيعيًا ، لكنه اهتاج لسبب غير مفهوم .. اعتبر هذه إهانة حقيقية وانفجر صارخًا فى غضب ، ثم إنه اندفع لقمرة القيادة ففتح الباب وأخرج السائق من تلابيبه وهو مستمر فى السباب :

ـ « أيهـا الحمار .. أمثالك يجـب أن يسلخوا ويلقـوا بهم للكلاب .. »

لم يكن السائق واهنًا أو جبانًا ، لذا وجه له عدة صفعات .. والتحم الرجلان ..

من مكان ما ظهر رجلا شرطة أفريقيان وحاولا تهدئة الأمور ، لكن الفتى كان شديد الهياج .. انتهى الأمر بان ألقيا به أرضًا وأوثقا يديه خلف ظهره واقتاداه وسط زحام الناس إلى المخفر ..

الأمر واضح .. إن رائحة الخمر تفوح منه كأنه معمل تقطير ، دعك من أنه فاقد التحكم فى جهازه العصبى تمامًا ..

من هو ؟.. من أين جاء ؟

إنه أجنبى بالتأكيد .. ملامحه تشى بهذا ..

الأسوأ هو أنهم استجوبوه مرارًا فلم يذكر اسمه .. لا يحمل أوراقًا ولا هاتفًا محمولاً ، كما أن حالته زرية فعلاً ..

بعد ليلة طويلة فى الحجز مع الفئران والبراغيث وما هو ألعن ، قرر رجال الشرطة أنه نال عقابًا كافيًا .. فلنطلق سراحه .. لا نريد التورط مع ســفارة أجنبيــة ما .. ثم إن المهرجان قريب فلا وقت نضيعه مع هذه السخافات ..

هكذا غادر الغريب المخفر وقد استعاد توازنه ووعيه ، لكنه لم يستعد ذاكرته ، وبالطبع قد ترك معظم كرامته بالداخل ..

14 ـ الغريب (3) ..

نواصل هذا الجزء الذى ليس فى مذكرات د. علاء :

كان قد صمم على الانتقام ..

لو كانت تلك الفتاة قد لعبت به ، وسممت دمه فعليها أن تعطى تفسيرًا أو تدفع الثمن ..

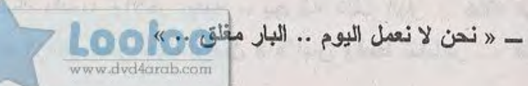
لم يكن راغبًا فى أن يذهب لدارها .. لن يقتحم الدار أو يجازف بشىء كهذا .. ثم إنه ليس متأكدًا من أنه يعرف العنوان ..

هكذا اتجه إلى ذلك البار فى الشارع الرئيس ...

كان الوقت صباحًا عندما دخل المكان .. مقتحمًا عدوانيًا ثائرًا كما يفعلون فى أفلام رعاة البقر .. المشكلة هى أنه ليس بالضبط (جون واين) ..

وظهر البارمان الضخم قادمًا من مكان ما ، فلما رآه أدرك أنه يحمل معه المتاعب ..

ـ « نحن لا نعمل اليوم .. البار مغلق .. »



قال الغريب وعيناه تتقدان نارًا :

ـ « لا أريد خدماتكم المسمومة .. أريد تلك الفتاة .. بوكونا .. أين هى ؟ »

فى غلظة قال البارمان ـ وجلده الأسود يلمع فى ضوء الشمس المتسلل من الباب :

ـ « ليست هنا الآن .. تعمل فى فترة الليل فقط .. »

لكن صاحبنا ظل مصرًّا . وبدأ صوته يتعالى ويتكلم بعدوانية ..

الواقع أنه لم يكن على ما يرام على الإطلاق .

هكذا تسير الأمور يا صاحبى .. هكذا ينظر صاحب البار نظرة جانبية خاصة .. نظرة آمرة نحو من يحيطون به .. هكذا يبرز هذان الرجلان الضخمان من مكان ما .. يشبهان أفراس النهر بشدة ..

كتلتان من العضلات لا يمكن التفاهم معهما ...

يجد صاحبنا أنهما يحملانه وهو يحاول التملص .. أحدهما يمسك بقدميه والآخر بيديه .. يجرانه خلف البار .. هناك فى ذلك الزقاق القذر حيث براميل ماء آسن وقطط تتشاجر ... هذا

هو المكان المفضل لتصفية الحسابات .. كم أن هذا ممتع ولذيذ ... هناك ينهالان عليه ضربًا .. ليس ضربًا مبرحًا لأنه تهاوى على الفور .. لكن أحدهما هوى بحذائه على ذراع الفتى .. يمكنك سماع صوت العظم وهو يتهشم ... أطلق أنينًا عميقًا ثم كف عن الصراخ أو الشكوى .. كان الألم يحمله لحفرة بلا قاع ...

قال أحد الرجلين فى تشف سادى :

ــ « هذا الرجل واهن كطفل يا أندريه .. كنت أعتقد أنه سيتحمل قليلاً .. »

ثم انحنى ليفرغ نقوده .. ومد يده فانتزع الساعة المحيطة بمعصمه .. ثم هتف فى أذن الفتى الذى لم يفقد وعيه تمامًا :

ــ « سوف ترحل ، لكن لو رأيتك هنا مرة أخرى فلسوف أنتزع طحالك بأناملى .. »

ثم اختفى الرجلان ، وظل هو فاقد الوعى لفترة لا بأس بها ..



★ ★ ★

فقط يرى الناس يحتشدون حوله ..

كلام بالسواحيلية . كلام بالفرنسية .. كلام بلغة الفولانى ..

من هذا ؟.. من أتى به هنا ؟ .. هاتوا الشرطة .. لقد تلقى علقة مبرحة .. ربما كان سطوًا مسلحًا ..

ثم صوت رجل شرطة يفحصه ..

يحاول النهوض وهـو يمسك برأسـه .. رأسه موشك على الانفجار ، بينما يسأله الشرطى :

ــ « من أنت ؟ »

لا يرد ..

ــ « ماذا حدث لك ؟ »

لا يرد ..

ــ « ما هى جنسيتك ؟ »

هنا تذكر الغريب :

ـ « مصر .. »

هذه المرة كانت الأنباء قد بدأت تتسرب .. هناك ذلك الطبيب المفقود بعد حادث سيارة .. لقد تم إبلاغ الشرطة ، أنه مصرى من وحدة طبية اسمها سافارى . تقع قريبًا من هنا . هذه المرة ربط رجال الشرطة بين الرجلين . يبدو أنه كان معتقلاً فى المخفر أمس بتهمة السكر .. يبدو هذا غريبًا لكنه حدث فعلاً ..

اتصال بوزارة الصحة .. اتصال بوحدة سافارى ..

بعد ساعتين كانت طائرة هليوكوبتر من الوحدة تحلق فوق الساحة الرئيسة بالبلدة .. على الطائرة شعار يمثل رأسًا أفريقيًا أسود .. هناك كلمة SAFARI مكتوبة بخط أنيق على جانب الطائرة . يبدو أن هؤلاء القوم يعرفون ما يفعلون .. نزل طبيبان ومعهما محفة ، فحصًا الغريب بسرعة .. ثم حملاه فى خفة إلى الطائرة التى راحت ترتفع من جديد كديناصور مجنح ..

فى الساعات التالية سوف يتم تشخيص الحالة كاشتباه ما بعد الارتجاج .. بالطبع مع كسر فى الذراع ..

ما حدث هو أن ذاكرة اليومين السابقين قد محيت ، وعاد الطبيب يتذكر ما قبل الحادث ..

لقد عاد الطبيب المفقود لأسرته وانتهى الكابوس ..

على الأقل بالنسبة للآخرين ، أما بالنسبة له فقد كانت هذه هى البداية ..

15 ـ إنهم يكذبون ..

أنا علاء عبد العظيم ..

لقد انتهت قصتى ..

لم يعد هناك ما يدعونى للمزيد من البحث . بالفعل كما قال (بارتلييه) ، لقد قمت بما هو مطلوب منى ولم تعد هذه حربى ..

لكنى مندهش من البراعة التى تم بها نسج هذه الأكذوبة من حولى . كل القصص الغريبة التى وقعت لى فى (بليتول) .. وحتى تلك الصورة فى جيب قميصى لامرأة لم أرها قط قبل هذا . هل بلغت بهم الدقة هذا المبلغ البعيد ؟

الحقيقة أن هذه هى الثغرة فى قصتى ، ولولاها لبدت لى الحقيقة واضحة تمامًا :

1 ـ لماذا يتجشمون كل هذه المشقة فى خداعى ؟ كانت لديهم حلول أكثر بساطة .. ما الذى يدعوهم لخلق عالم متكامل من الأكاذيب ؟

2 ـ لماذا لم ينتشر الوباء ؟.. بالطبع لن أقول شيئًا قاسيًا مثل أننى تمنيت أن ينتشر لأكون على حق .. لا . لم أبلغ هذه الدرجة ، لكن وباء (لاسا) ليس مزحة .

زرت (بودرجا) فى العناية المركزة .. لقد بدأ يفيق ويتحسن ، فلما رآنى صاح فى مرح :

ـ « نجونا يا دكتور .. حسبت هذه هى المرة الأخيرة .. »

صافحته ولاحظت من ملمس يده أن حرارته طبيعية ..

يمكنك من هاتين العينين النضرتين أن تدرك أنه قد شفى فعلاً . لاحظ أننى قلت النضرتين وليس اللامعتين . العينان اللامعتان قد تعنيان أن المريض سقيم جدًّا ..

قال لى فى تعب :

ـ « هل لديك تفسير لما حدث يا دكتور ؟ »

فكرت حينًا ثم قلت :

ـ « أعتقد أنك أصبت بالعدوى من تلك المرأة فى كوخ الفولانى .. لكن د. (شيلبى) أنقذك .. لقد أعطاك عقارًا ينقذ حياتك مبكرًا جدًّا .. »

فكر حينًا ثم قطب جبينه كأنه يتذكر .. رفع ساعده ليضعه على جبهته وقال :

ــ « امرأة ؟.. فولانى ؟.. لا أذكر شيئًا من هذا ! »

نظرت له فى حيرة ثم فى ذهول ثم فى غيظ ...

إما أنه أغبى حمار على وجه الأرض ، وإما أنه يكذب .. احتمال آخر ضعيف هو أننى أخرف ..

لكن لا .. لقد اعترف (بارتلييه) و(نزو مبيدا) أن هناك امرأة سقيمة .. قالا إنها مصابة بفشل كبدى لكنهما على الأقل اعترفا بوجودها ..

أعتقــد أن (بودرجا) لا يذكر .. لقد عانى عقله الكثير ومر بغيبوبة كاملة .. لن يتذكر تفصيلة كهذه ..

(شيلبى) كذلك يمكن أن ينسى .. لقد تلقى مكالمة والشبكة تالفة فلم يسمع إلا أشباح كلمات ..

أما عن د. (نزو مبيـــدا) فلا شك أنه يكذب .. يكذب لأن هذه مهمته فى الحياة .. أن يعلن ان وزارة الصحة تؤدى عملها كخير ما يكون ..

★ ★ ★

غادرت المكان فقابلت طبيب الأمراض العصبية الكاميرونى (ويليام ميلاجا) ...

حيانى وأبدى انبهاره بالتقدم فى حالة (بودرجا) ، ثم دعانى للغرفة الداخلية وأخرج مجموعة من أفلام الأشعة وبدأ يرصها على فانوس العرض ..

أدركت أن هذه أشعة رنين مغناطيسى ..لا أفهم هذه الصور الملغزة ولا أعرف من أين أطالعها ..

قال لىَ وهو يشعل لفافة تبغ :

ــ « كنا قد أجرينا أشعة مقطعية فى مرحلة متقدمة جدًا من المرض فلم نجد شيئًا .. لكن أشعة الرنين المغناطيسى أكثر دقة ،

وقد أوضحت لنا ان الحادث لم يمر على خير بالنسبة لبودرجا كما توقعنا .. كان هناك تجمع دموى ونزف وعائى دقيق... ثم بدأت حالة المخ تتحسن مع الوقت . لا أزعم للحظة أنه كان لنا دور فى هذا .. لقد شفى تلقائيًا .. الجسد عالج نفسه بنفسه .. "

قلت فى دهشة :

ـ « هل تعنى أن الحادث هو سبب الغيبوبة .. »

ـ « بلا شك .. هذا منطقى ويتسق مع القاعدة القديمة : الأشياء الشائعة شائعة .. عندما تسمع صوت حوافر فكّر فى الخيول وليس فى الحمير الوحشية .. عندما يفقد شخص وعيه بعد حادث فالحادث هو السبب .. »

ـ « والنزف تحت الجلد ؟ »

ـ « كان يتعاطى مضادات تجلط .. لا تنس هذا .. »

ـ « كان هذا بعد فترة من معاينة حالة حمى (لاسا) ..

نفث الدخان بكثافة وقال :



ـ « لا يوجد فى كل التحاليل ما يشير لهذا الفيروس .. دعك من أننا كنا سنفقد المريض على الأرجح لو كانت حمى (لاسا) .. »

ثم أطفأ السيجارة وقال :

ـ « نصيحة .. انس موضوع حمى (لاسا) هذا .. لا تدعه يقدك إلى الجنون .. »

★ ★ ★

ربما كانت كل الحقائق ضدى ..

ربما كان المنطق يقول بوضوح إننى مخطئ ..

لربما كان اليومان اللذان قضيتهما فى (بليتول) يحملان مفاجآت كثيرة .. لربما حدثت لى بعض الأشياء التى يحاولون إقناعى بها ..

لربما كان (بودرجا) غير مصاب بحمى (لاسا) فعلاً .. ولربما هو مصاب بها وقد شفاه عقار الريبافيرين ..

لكنى فى النهاية أعرف جيدًا أنهم يكذبون ..

هؤلاء القوم يكذبون ..

لا استطيع ان أبرهن على ذلك ، ولا توجد أدلة معى سوى حواسى ..

أنا أؤمـــن أنه لا توجـــد بوكونا .. ولم أكن على علاقة بها ، ولم يقبض على رجال الشرطة ، ولم يضربنى بلطجيان .. أؤمن بهذا ...

لهذا أقول لكم إنهم يكذبون ...

لماذا يتمادون لهذه الدرجة ؟.. وماذا يفعلون لو انتشر الوباء فعلاً ؟

هذه أشياء لا تشغلنا هنا فى سافارى .

علاء عبد العظيم



روايات مصرية للجيب
سافارى
مغامرات طبيب شاب يجاهد
كى يظل حيًا وكى يظل طبيبًا
الجزائر
ليبيا
مصر
مدار السرطان
مالى
النيجر
تشاد
السودان
نيجيريا
إثيوبيا
إنهم يكذبون
د. أحمد خالد توفيق
إنهم يكذبون ..
عندما يقولون إنه لم يكن هناك شىء ..
وبعد هذا يعترفون بوجود شىء ، لكنه حسب كلامهم
لم يكن كما ظننته أنت ..
إنهم يكذبون ..
عندما يزعمون أنهم لم يروا ما رأيت ، وعندما يقولون
إنك تهذى بسبب الحادث ، وعندما يتملصون منك ..
إنهم يكذبون .. ولكن لأية غاية ؟
العدد القادم
السُّعار
الثمن فى مصر 500
وما يعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع بالقاهرة والاسكندرية